The Arab Tendency in the Thought of the Algerian Elite at the Beginning of the Twentieth Century AD.

Dr. Khireddine Youssef Chatra

Professor of Modern History, Department of History and Islamic Civilization-University of Sharjah

kchatra@sharjah.ac.ae

DOI: https://doi.org/10.31973/aj.v1i146.4074

Abstract:

Many Algerian writers and literary figures have been calling on Arab peoples and directing their youth to absorb from the depths of the Arab-Islamic civilization. In so doing, they have enriched the Arabic library with a rich literary and poetic heritage, which is a significant addition of creativity that has enriched and developed the Arab-Islamic dimension.

What I seek to illustrate in this research study is an analysis of the motives inherent in the Algerian personality that have led its elites to crystalize and reformulate a national consciousness and propensity for Arabism and Islam, not only in Algeria but also in the Arab world as a whole. And, also, to search for a set of answers related to some fundamental questions in this subject, including: What is the relationship of Algerian personality and national awareness in the modern era? What are the factors of spreading national awareness among the Algerian elites? What are the manifestations of the Algerian contribution to the Arab national thought, and how to deal with the dilemma of Arab identity struggle among the Algerian elites?

Key Words: The Algerian Elites – The Arab Culture – The History of Algeria – The Arab Nationalism – The National Thought.

النزعة العربية في فكر النخبة الجزائرية مطلع القرن العشرين الميلادي

د. خير الدين يوسف شترة
أستاذ التاريخ الحديث بقسم التأريخ
والحضارة الإسلامية- جامعة الشارقة

(مُلَخَّصُ البَحث)

كان المشرق العربي كما جسَّده المثقف الجزائري في أذهان مواطنيه مهد الحضارة وحرم العروبة ومهبط الوحي ومن ثمة فهو حلم الخلاص، وطريق الوحدة الشاملة، وقد وقف كثير من الكتاب والأدباء الجزائريين يدعون الشعوب العربية ويوجهون شبابها لينهل من عمق الحضارة العربية الإسلامية، وكانوا بذلك قد أثروا المكتبة العربية بتراث أدبي وشعري غزير ممَّا يُعد إضافة إبداعية جليلة أغنت البعد العربي الإسلامي وطوَّرته.

إن ما أسعى لإيضاحه في هذه الدراسة البحثية هو تحليل بعض الدوافع الكامنة في الشخصية الجزائرية والتي أدت بنخبها إلى بلورة وإعادة صياغة الوعي القومي والمحلي للعروبة والإسلام ليس في الجزائر فحسب ، بل في العالم العربي ككل، وأيضاً بحثاً عن جملة إجابات تتعلق ببعض الأسئلة الجوهرية في هذا الموضوع، ومنها: ما علاقة الشخصية الجزائرية بالوعي القومي في العصر الحديث؟ وما هي عوامل انتشار الوعي القومي لدى النخب الجزائرية؟ وما هي مظاهر الإسهام الجزائري في الفكر القومي العربي، وكيف نعالج معضلة صراع الهوية العربية لدى النخب الجزائرية؟

الكلمات الدالة: النخبة الجزائرية – الثقافة العربية- تاريخ الجزائر- القومية العربية- الفكر القومي.

مقدمة:

١. **أهمية البحث:** إن الحدث القومي بالجزائر في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي قد أثار جملة من التساؤلات مقارنة مع نظيره بالمشرق، تعلقت أساسًا بتاريخ تكوّنه وبموضوعاته أيضًا وبدرجة تقدمه ومحدوديته ووقعه وفعله.. ومن أهم هذه الموضوعات ظاهرة الاختلاط بين العروبة والإسلام في فكر النخب الجزائرية، وأيضًا تداخل الوعي بالانتماء إلى الأمة العربية بالوعي الوطني أي الانتماء القطري !! وأنا أدرك تمامًا رغم صلاحية هذه التساؤلات من حيث العرض المنهجي بصعوبة التعاطي معها لأن الموضوع ذاته مازال بكرًا قياسًا لما كُتب حوله وأنجز.

إن ما يربط ما بين الجزائري وإخوانه في المشرق العربي تاريخ ومصير ذا أبعاد عميقة في مدلولاتها وهذا ما يعقّد مسعى إدراك تلك الأحداث المحصورة في المرحلة الزمنية جدًا التي حصرت موضوع الدراسة ولكنها بالمقابل غنية بالإثارة.

٢. **إشكاليات البحث:** إن ما أسعى لإيضاحه في هذه الدراسة البحثية هو تحليل بعض الدوافع الكامنة في الشخصية الجزائرية والتي أدت بنخبها إلى بلورة وإعادة صياغة الوعي القومي والملي للعروبة والإسلام ليس في الجزائر فقط بل في العالم العربي ككل، وأيضاً بحثاً عن جملة إجابات تتعلق ببعض الأسئلة الجوهرية في هذا الموضوع، ومنها: ما علاقة الشخصية الجزائرية بالوعي القومي في العصر الحديث؟ وما هي عوامل انتشار الوعي القومي لدى النخب الجزائرية؟ وما هي مظاهر الإسهام الجزائري في الفكر القومي العربي، وكيف نعالج معضلة صراع الهوية العربية لدى النخب الجزائرية؟

٣. **فرضية البحث:** تفترض الدراسة أن الشرق كما جسّده المثقف الجزائري في أذهان مواطنيه هو مهد الحضارة وحرم العروبة ومهبط الوحي ومن ثمة فهو حلم الخلاص، وطريق الوحدة الشاملة، وأن الكثير من الكتاب والأدباء الجزائريين دعوا الشعب الجزائري، وعملوا على توجيه الشباب إلى الشرق لينهل من عمقه ويقتدي بزعمائه ويحفظ تراثه، وهم إذ يرسمون هذا الاتجاه لا يعنون بالشرق مصطلحه الجغرافي أو السياسي، وإنما كانوا يقصدون الشرق في مفهومه العربي أو القومي.

٤. **المنهجية المتبعة في البحث:** لدراسة هذا الموضوع قمنا بتوظيف المنهج التأريخي الذي يهتم بتتبّع الأحداث وتقديم وصف شامل ودقيق عنها، ويعطيها سياقًا زمنيًا يربط السابق باللاحق، وكذا المنهج التحليلي الذي يهتم بالبحث عن الأسباب وطلب التفسيرات ودراسة العوامل المؤثرة ومجالات التأثير، فالمنهج التأريخي التحليلي بأصوله وقواعده هو المنهج الذي يعتمد على رصد الأحداث التاريخية، ثم تحليلها موضوعيًا من أجل الوصول إلى معرفة أسبابها، وفهم التيارات التي أثّرت فيها والعوامل التي وجّهتها في الاتجاه الذي سارت فيه، وذلك بقصد الخروج بنتائج محددة تلقي الأضواء الكافية على الأحداث التي وقعت خلال مرحلة الدراسة كي تتضح لنا على حقيقتها.

١. **الشخصية الجزائرية والوعي القومي في العصر الحديث**

لماذا الكتابة عن الوعي القومي العربي لدى الجزائريين خلال هذه الفترة بالذات؟ وهل الوعي القومي العربي لدى النخبة الجزائرية، وعيان: مغربي ومشرقي؟ أم كلاهما شيء واحد ملخصه وعي الأمة العربية بقوميتها ووحدتها؟ راجع في هذا المنجى،)منير، **1979** ، ص.ص ٢٠- ٤١)، قد نشعر بقلق فكري عميق حين نريد مساءلة الوعي القومي لدى الجزائريين خلال هذه المرحلة التاريخية.

إن الحدث القومي بالجزائر خلال هذه الفترة قد أثار جملة من التساؤلات مقارنة مع نظيره بالمشرق، تعلقت أساسًا بتاريخ تكوّنه وبموضوعاته أيضاً، وبدرجة تقدمه ومحدوديته ووقعه وفعله.. ومن أهم الموضوعات المربكة في فكر هذه النخبة هو ظاهرة الاختلاط بين العروبة والإسلام في استيعاب معاني القومية، وأيضاً تداخل الوعي بالانتماء إلى الأمة العربية بالوعي الوطني –أي الانتماء القطري –!! للتوسع طالع، (مركز دراسات الوحدة العربية، جوان ١٩٨٥، ع(**76**)، ص.ص(١٢٦– ١٤٤).

مذ بدأت اليقظة الفكرية والسياسية في الجزائر؛ برزت إلى الوجود أفكار نهضوية وإصلاحية تعتمد في مبادئها على الرجوع إلى المنابع الأولى للدين والتاريخ والثقافة العربية الإسلامية، وتقوم دعوتها على الارتباط بالحضارة العربية كرد فعل ضد التيارات الأخرى التي بدت في الحياة السياسية والثقافية تنشد الارتباط بفرنسا وحضارتها، وقد تمثَّل هذا التيار في تلك الطبقة التي ارتبطت مصالحها بمصالح المستعمرين، وزاد من حدته أن دعاته تأثّروا بالثقافة الفرنسية التي أخذوها من المدارس الفرنسية، ومن ثمّة كان إحساس هؤلاء بالشرق إحساسًا غير عميق، فظهر اتجاه يدعو إلى التجنيس ليتطور فيما بعد للدعوة إلى مساواة الجزائري بالفرنسي، لكن بالمقابل وكرد فعل لهذا الاتجاه ظهرت الأحزاب السياسية والنوادي والجمعيات الثقافية الداعية إلى الإصلاح والتغيير لتتبلور مطالبها وتتضح معالمها من اليسار إلى اليمين بالدعوة إلى الاستقلال والانفصال. وبالرغم من وضوح المبادئ السياسية لدى هذه الأحزاب بعد ذلك فإن الذين كانوا يتزعمونها لم يعبروا عن فهم عميق ولا عن وعي واضح بارتباط الجزائر بالفكر القومي العربي الناشئ في المشرق العربي باستثناء القليل منهم (مصالي الحاج[1] بعد زيارة جنيف)؛ لكن فكرة الارتباط بالمشرق والإيمان بالوحدة العربية لدى المثقفين خصوصًا منهم الذين تثقفوا ثقافة قومية، «فمنذ بدأت فكرة الرجوع إلى الجذور الأولى للحضارة العربية في أوائل القرن العشرين أخذ الكتاب والشعراء يحررون المقالات

(1) مصالي الحاج بن أحمد (١٨٩٨ – ١٩٧٤): ولد بتلمسان من عائلة فقيرة ارتحل إلى فرنسا وفيها انتسب إلى جامعة بوردو كمستمع حر، وفي ١٩٢٦م تولى عضوية نجم شمال إفريقيا ، وفي ١٩٢٩م يتم حل النجم ويُعيد تجديده في سنة ١٩٣٣م، وبتهمة إعادة تنظيم جمعية محله يحكم عليه بـ٠٦ أشهر سجن ليفر إلى جنيف حيث شارك إلى جانب شكيب ارسلان في مؤتمر الإسلامي الأوروبي (سبتمبر ١٩٣٥). ثم يعود إلى فرنسا مع صفوف الجبهة الشعبية سنة ١٩٣٦م ويزور الجزائر حيث حفز المؤتمر الإسلامي. بعد حل النجم يؤسس حزب الشعب الجزائري في مارس ١٩٣٧ لكنه أُودع السجن فيما بعد وبعد معاناة كبيرة يُسرح سنة ١٩٤٦م ليُعلن عن تأسيس حركة انتصار الحريات الديمقراطية في فيفري ١٩٥٢ م يُنفى إلى فرنسا، ومع إعلان الثورة في نوفمبر ١٩٥٤م تنتهي حياة مصالي السياسية . وبقي معزولاً عن وطنه إلى أن توفي في فرنسا. للإطلاع راجع: ابن الأحمر، (٢٠٠١)، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح.هاني سلامة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية.

- Kaddache (M) et Genaneche (M), L'étoile nord-Africain, Alger : O.P.U, 1984, PP (9 –12)- Mahsas (A), le mouvement révolutionnaire en Algérie, Paris: Ed., le Harmattan, 1979, PP (178 – 195).

والقصائد التي تُعبّر عن حنينهم إلى الشرق والماضي العربي الذي يجمع بين الجزائر والأقطار العربية».(ركيبي، ١٩٨٣، ص ١٤) فالفكرة العربية الإسلامية ليست بالجديدة على الجزائريين، فهي موجودة منذ أيام دولة بني زيان[٢]، ثم «تبلورت فيما بعد خلال الحملات الأوروبية على الجزائر في مطلع القرن السادس عشر (١٦م) حيث انتهت هذه الحملات بارتباط الجزائر بالدولة العثمانية..غير أن هذا الاتجاه قد قوي بعد الاحتلال الفرنسي وخصوصًا على عهد الأمير عبد القادر بن محي الدين[٣] الذي قامت دولته على أساس ديني».(بلاسي، ١٩٩٠، ص ٢٢٠).

كما يتجسَّد الوعي العربي هذا في محافظة الجزائريين على شخصيتهم رغم المسخ الاستعماري للتاريخ واللغة والثقافة والدين، عن طريق تصفية مؤسسات التعليم والعبادة وإحلال الثقافة الفرنسية والمسيحية مكانها، فالجزائريون كما قال كاتب من النخبة الجزائرية عباس فرحات[٤] (عباس **2005**،ص ١٣٤) :«كانوا دائمًا واعين لعلاقتهم بالعالمين الإسلامي والعربي، وكانوا دائمًا غيورين على انتمائهم الإسلامي، وجزائر سنة ١٨٣٠م كانت لا تفكر في حدودها الطبيعية ولكن في الحدود التي تفصل الإسلام والمسيحية فقط» ثم يقول :«الجزائر ككل كانت جزءًا من كل»(عباس ٢٠٠٥، ص ١٣٤).

---

(٢) الزيانيون، ويطلق عليهم تسمية بنو زيان أو بنو عبد الواد، سلالة حكمت منطقة المغرب الأوسط (الجزائر) خلال الفترة (١٢٣٥-١٥٥٤)م، وكانت عاصمتهم تلمسان في الغرب الجزائري.

(٣) الأمير عبد القادر الجزائري(١٨٠٧- ١٨٨٣)م :قائد سياسي وعسكري، ولد في (٢٥ سبتمبر ١٨٠٧م) في قرية القيطنة، وكانت البيئة التي عاش فيها بيئة إسلامية وتربوية إيمانية واجتماعية متماسكة، وفي ظلها تكونت شخصيته، كانت له رحلات علمية لمعاهد الجزائر والقرويين بفاس، والزيتونة بتونس، عُرف بمحاربته للإحتلال الفرنسي للجزائر، قاد مقاومة شعبية لخمسة عشر عاما أثناء بدايات غزو فرنسا للجزائر، يعتبر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، ورمز للمقاومة الجزائرية ضد الاستعمار والاضطهاد الفرنسي، نفي إلى أنقرة ثم دمشق حيث تفرغ للتصوف والفلسفة، والكتابة والشعر، وتوفي فيها .للإطلاع راجع:الأمير محمد (بن عبد القادر الجزائري)، (١٩٦٤م.)، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ط٢، ج٢، بيروت، دار اليقظة العربية.

(٤) فرحات (عباس): (١٨٩٩-١٩٨٥) زعيم وطني ورجل سياسي جزائري، مؤسس حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، عضو جبهة التحرير الوطني إبان حرب التحرير الجزائرية، وأول رئيس للحكومة الجزائرية المؤقتة للجمهورية الجزائرية من ١٩٥٨ إلى ١٩٦١، تم انتخابه عند استقلال الجزائر رئيسا للمجلس الوطني التشريعي. توفي ٢٣ ديسمبر ١٩٨٥ . للإطلاع راجع:عباس فرحات، (ب.ت)، حرب الجزائر وثورتها- ليل الاستعمار -، تر . بوبكر رحّال، المغرب: مطبعة فضالة المحمدية، عباس محمد الصغير، (٢٠٠٦-٢٠٠٧). عباس فرحات من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ والأثار، جامعة منتوري قسنطينة.

والجزائر قد بادرت إلى ريادة الجامعة الإسلامية بزعامة حمدان خوجة بن عثمان[٥] والأمير عبد القادر، والشيخ الحداد محمد أمزيان[٦]، وحمدان الونيسي[٧]، والموهوب محمد بن المولود [٨] للتوسع راجع: (عميراوي، ١٩٨٧)، و«عندما وصلت النسخة الشرقية من الجامعة الإسلامية إلى الجزائر في أوائل القرن العشرين كانت قد طوّرت نسختها الخاصة التي بدأت في الحقيقة من القرن الماضي»(ق ١٩م).(سعد الله ، ١٩٩٢،ج٢، ص **124**)

ومن أهم دوافع التفاعل هو نضوج آثار مفكري الجزائر والعاملين الأولين فيها، الذين وهبوا حياتهم للتربية الدينية والتعليم ففتحوا المدارس العربية وحرروا الصحف وأرسلوا البعثات وفتحوا المساجد والنوادي، كما أن قساوة الاستعمار الفرنسي وفضاعته وجبروت المستعمرين وعداوتهم الصليبية وتبرمهم من الإسلام والمسلمين في الجزائر كان من أهم هذه العوامل، يضاف إلى ذلك «إقبال الجزائريين الفطري إلى مساندة إخوة الدين والعرق، وبفضل دعاية هذه النخبة العالمة تكوّنت في أول القرن العشرين في الجزائر طائفة كبيرة من العلماء أعدوا إعدادًا صالحًا ليكونوا أوتاد النهضة وشبابها وروح الأمة ودرعها..».(دبوز، ١٩٧١، ص.ص٣-٥)

---

(٥) خوجة حمدان بن عثمان (١٧٧٣ – ١٨٤٠)م: ولد بالجزائر من أسرة ذات أملاك في منطقة متيجة تلقى تعليمه الأول على أبيه، صحب عمّه إلى اسطنبول سنة ١٧٨٤م وغيرها من بعض مدن الشرق الأدنى، كما مكث في أوروبا نحو سبعة عشرة سنة قضى بعضها في فرنسا، وبعد احتلال الجزائر ١٨٣٠م تزعم الحركة الوطنية، نفي إلى باريس سنة ١٨٣٣م، وهناك تابع نضاله السياسي حيث حرّر بها كتابه (المرأة)، ولمّا فشلت كل محاولاته سافر إلى الأستانة وتُوفي به.، للاطلاع راجع: - بن قينة .عمر،(١٩٩٣م) صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص.ص (٧ – ١١) - عميراوي، أحميدة (١٩٨٧م) دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (١٨٢٧– ١٩٤٠)، الجزائر، دار البعث، ص.ص (٥٩ – ٢١٤).

(٦) الشيخ محمد أمزيان بن علي الحداد (١٧٨٩- ١٨٧٣)، هو زعيم أقوى مقاومة شعبية جزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، وشيخ الطريقة الرحمانية الصوفية ببلدة صدوق (منطقة القبائل)، قادة ثورة ١٨٧١م بجانب الشيخ المقراني، توفي في سجن بقسنطينة، للاطلاع راجع: بوعزيز .يحي، (١٩٧٨م)، ثورة ١٨٧١م ودور عائلتي المقراني والحداد، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - بوعزيز يحي، (١٩٨٠م)، ثورات في القرنين (١٩-٢٠)م، الجزائر، دار البعث.

(٧) حمدان الونيسي (١٨٥٦-١٩٢٠)م: عالم ومدرس وفقيه ومحدث جزائري، شيخ الجامع الكبير بقسنطينة، هاجر عام ١٩١٠م، واستقر بالحجاز، وظل مدرسًا للحديث النبوي بها إلى حين وفاته، كان من تلاميذه الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشيخ العربي التباني، من أثاره القول الحنيف في الرد على من أجاز الفتوى بالقول الضعيف، للاطلاع راجع: بوصفصاف (عبد الكريم)، (١٩٨١م)، ج.ع.م.ج ودروها في الحركة الوطنية، الجزائر: دار البعث.ص.ص (٦٦-٧١)، الجندي أنور، (١٩٦٥م)، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة، الدار القومية، ص٣٣.

(٨) الموهوب محمد بن المولود (١٨٦٦ – ١٩٣٩)ولد بقسنطينة، ساهم في تأسيس نادي صالح باي حيث كان يلقي محاضراته الثقافية، كما قام بعمل وعظي وإرشاد يكبير في الجامع الأخضر ليُعيّن في سنة ١٨٩٥م أستاذًا للدراسات الإسلامية بمدرسة سيدي الكتّاني ليُرقى إلى مُفتي المذهب المالكي سنة ١٩٠٨م، ساهم في الحركة الصحفية من خلال مقالاته التي نشرها في عدة جرائد كجريدة كوكب أفريقيا، والصديق والإقدام.للاطلاع راجع: جريدة النجاح، عدد ٢٢٨٩، (جوان ١٩٣٩). - الزاهري محمد الهادي، (١٩٢٦م)، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج٢، تونس، المطبعة التونسية ، ص٣١. - ناصر، محمد (١٩٧٨م) المقالة الصحفية، مجلد(٢). الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ص ٢١٨.

كما أن «دور الصحافة كان مهمًا في يقظة الجزائريين، فالصحافة، فضلاً عن نشاطها التربوي والتثقيفي دعت إلى الاتحاد والتآزر العربي والإسلامي من خلال اهتمامها المتواصل بقضايا الأقطار العربية والإسلامية»(الزبير ، ١٩٨٢،ج(٤)، ص ٩٧)، وقد لا يعرف الكثير من الباحثين في القضايا العربية، أن الأدباء والسياسيين الجزائريين كانوا منذ مطلع القرن العشرين يُعبّرون عن انتمائهم للشرق العربي وإحساسهم بهذا الانتماء في كل مناسبة شعرًا ونثرًا، وهو ما سنتحدث عنه في المباحث اللاحقة.

١. مقدمة حول ماهية الوعي القومي العربي ودوافعه لدى الجزائريين في مطلع القرن العشرين

عندما يتكوّن لدى مجموعة بشرية الإحساس والاعتقاد والوعي يتقاسم نفس القيم، يمكن القول أنه يوجد داخلها"هوية ثقافية"معينة، وعليه فالهوية الثقافية ليست شيئاً موضوعياً يمكن قياسه من "الخارج" فإذا كان هناك شخص غريب أصلاً عن دين معين أو أثنية معينة، واعتنق فيما بعد هذه الديانة أو شارك الإثنية قيمها، فإنه باستطاعته أن يتقاسم هذه المجموعة الدينية أو الإثنية هويتها الثقافية ونفس الشيء بالنسبة للذي سوف يتخلى نهائياً عن دينه أو مجموعته الإثنية، يمكن أن يفقد هويته الأصلية، فالهويات الثقافية لها إطار وحدود هي الفضاءات المادية والجغرافية أو الثقافية التي يحتلها من يتقاسمون القيم المشار إليها، وإنه ليس من السهل دائماً –وأحياناً من المستحيل– التخلي الطوعي عن الهوية الأصلية لتبنّي هوية أخرى.

ويبدو أنه يوجد في أعماق النفس البشرية تشكل ذهني معين مكتسب منذ مراحل الطفولة الأولى يظل دليلاً مرجعياً راسخاً والتي تجعل من المستحيل أحياناً حصول نوع من الانتقال الثقافي المتبادل، وهذا العائق هو بدوره ذو طبيعة ثقافية ليس مرتبطاً أصلاً بالتشكل الوراثي للأفراد والتخلي عن الثقافة الأصلية لاعتناق أخرى بصفة إرادية وطوعية طريقاً للوصول فعلياً لمعرفة الآخر،لأنه يتطلب القطع مع الضغوطات السيكولوجية للثقافة الخالصة لغاية فهم ثقافة الآخر، لكن هل يمكن أن ينطبق هذا الوضع على علاقة المجتمعات ذات الثقافات الغالبة مع المجتمعات ذات الثقافات المغلوبة؟

إن دراسة تطور النخب الجزائرية عبر التاريخ ليس بالأمر الهيّن، كما أن كتابة تأريخ أدوارها وأنشطتها ليس من الأمور الخالية من المخاطرة الجمّة، ولعل سبب التأخير الملاحظ لحد الآن في الإنتاج التاريخي المتعلق بهذا المحور الهام من محاور البحث في تأريخنا الحضاري يرجع حسب رأينا إلى تردّد بعض الباحثين في كتابة تأريخ نضالات النخب الجزائرية وهم يفتقرون إلى مادة أساسية من مواده ألا وهي الوثائق التأريخية فلئن فضّلوا الاهتمام بمحاور أخرى مثل التاريخ السياسي والاقتصادي والثقافي والنقابي وذلك لكثرة

المصادر الوثائقية المتوفرة في هذا الميدان. والأستاذ برهان غليون في تعريفه للنخبة (برهان، ١٩٩٤، ص١٦) نجده قد ربط تعريفها بالمسألة الثقافية وبالتعليم ودرجة الوعي بصفة خاصة، وإذا ما أخذنا هذا التعريف والدور الهام الذي اضطلع به مثقفوا الجزائر على امتداد كامل المرحلة الاستعمارية في مقاومة الاستعمار بالجزائر، وخدمتهم لقضايا البلاد السياسية والثقافية والدينية... فإنه بالإمكان استعمال كلمة "نخبة" في وصفهم بكل ما للكلمة من مدلول.

وبالمقابل يرى عديد الباحثين في الثقافة والفكر أنه ليس بالإمكان الحديث عن إنتلجنسيا (**Gramsci ,1977, PP 11- 12**) بالوطن العربي سواء كان ذلك بدول المشرق أو بدول المغرب، وعموماً من الصعب الحسم في مثل هذه المصطلحات التي غالباً ما تختلف من باحث إلى آخر ومن مدرسة إلى أخرى باختلاف المدارس والاتجاهات الفكرية المعاصرة، ووفقاً لذلك قمنا بتوظيف مصطلح نخبة بدل إنتلجنسيا للدلالة على هذه المجموعة المتنوّرة من سياسيين ومثقفين...

وفي حالة الجزائر مع مطلع القرن العشرين فإن المقصود بالنخبة ليس هو المقصود به تلك الفئة التي اكتسبت رصيداً تعليميًا وتثقيفيًا وإن اختلفت مشاربه (وهذا الذي نقصده في بحثنا) بل هي تلك الفئة الاجتماعية ذات الإيديولوجية الخاصة وصاحبة التوجه الذي يميل إلى التعاطف مع الثقافة الفرنسية ونقيضها فئة المحافظين، التي عرَّفها الأستاذ "علي مراد" بقوله: «...إنها جماعة تحسن اللغتين وينتمون إلى الطبقة المثقفة لكنها مشتتة بين حضارتين عربية وفرنسية...»(**Merad, 1964,, N°02, P13.**) وقامت حياة هذه الجماعة على تبني أفكار الغرب ووسائل عيشه وطريقته في العمل وثقافته وتعليمه، وقد ظهرت منهم في مطلع القرن العشرين طبقة اجتماعية عُرفت باسم لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين التي يعتبرها كلود كولو وجان روبير هنري (Claude Collo and Jean-Robert Henri): « أنها بداية لظهور الأحزاب السياسية منذ ١٩١٢م (**collot ET Henry, 1978, P.P 13-24**)...» ويعتقدان بأن: «أعضاء بلدية الجزائر العاصمة هم الذين أنشأوا هذه اللجنة...» (**collot ET Henry, 1978, P.24.**) وكان هؤلاء الشبان يُلقبون عام ١٩٠١م "بالشباب التركي" حيث «تميزوا بنشاطات اجتماعية وثقافية فأنشأوا النوادي والجمعيات مثل الرشيدية (١٩٠٢م) ونادي صالح بأي عام ١٩٠٧م...» ( ) -(**Ageron, 1977, P318.**)- (**Kaddache, 1980, T1, P75.**) **Kaddach, 1980,T1. P75.**).

ولما كان اهتمامنا الأساسي في هذه الدراسة مركزًا على وعي النخبة الجزائرية بكل توجهاتها بعيداً عن المفهوم التاريخي الضيق لمصطلح النخبة خلال فترة الكفاح الوطني من أجل الاستقلال الذي حصره مؤرخو المدرسة الاستعمارية الفرنسية في الفئة المتعاطفة معهم ثقافيًا ولغوياً ،من ثم تمَّ اعتماده من طرف مؤرخي المدرسة التاريخية الجزائرية بعد الاستقلال كمُسَلم تأريخي على الرغم من عدم صلاحيته الاصطلاحية، وعليه فإننا سننظر إلى فكرة الوحدة العربية والقومية العربية بوضعها كإحدى إفرازات التأريخ السياسي والثقافي الحديث لتلك النخبة الجزائرية الواعية.

ومن العسير منهجيًا أن نحصر تعريفًا محددًا للوحدة في تصورات هذه النخبة، غير أن تصوّرنا لها من خلال هذه الدراسة، هو «ما الممكن أن تفعله تلك التفاعلات السياسية والفكرية من تأثيرات وتغييرات بمجتمعات "تنمو وتتطور" على قاعدة التأخر، والتفكك والقطرية؟ وهو ما نؤمن بحضوره كواقع بالوطن العربي»(مالكي، جوان ١٩٨٦، ع(٤٥-٤٦)، ص ٦٥)، وما يمكن قوله أن الوحدة صيرورة تاريخية طويلة وهي كظاهرة اجتماعية بمعنى الانتقال من وضعية التفكك/التجزئة إلى مستوى الانصهار/ الاتحاد السياسي، أي أنها في طبيعتها أرقى من التعاون والتكامل، والوحدة التي كان يصبوا إليها الجزائريون، هي وحدة الكفاح ثم وحدة التنمية وهما وجهين لمعادلة واحدة، أي الخروج من التأخر التأريخي والتخلف بأفق التطور واستيعاب شروط تقدم العصر.

ويذكر الأستاذ علي أومليل: « أن الماضي كان بمثابة المبرر الأساسي لإثبات حقيقة هذه الوحدة وهو الذي كوّن لدى البلدان العربية أسس التوحيد هذه: وحدة اللغة، ووحدة الإيديولوجية الدينية، فضلا عن تشابهات أخرى بُحث عنها، أما المستقبل لم يعرض كلية، ليس لأن الحركات الوطنية ،اعدت أفق الاستقلال أفقًا كافيًا في حد ذاته فحسب ، بل لأنه حصلت قناعة لدى هؤلاء – مجملها– أن الوجود الاستعماري كان السبب في هذه التجزئة، وأنه بزوال الاستعمار ستتحقق الوحدة، لكنه ومع تحقيق الاستقلال وتكوّن هذه الدول، انشغل الكل ببناء دولته ولكنه مع ذلك ظلت الوحدة الشاملة تُعرض تمامًا كما كانت تُعرض سابقًا لكن كشعار اختزالي من دون عرض المشاكل المتعددة، اذ شاع فيما بعد أن المعرقل الرئيس لتحقيقها، هو الدولة القطرية نفسها، وهو الوجه السلبي لمثل هذا الاعتقاد».)مركز دراسات الوحدة العربية،**1987** ، ص ص ٥٠ – ٥١).

إن المتتبع للثورات الجزائرية بداية من ثورة الأمير عبد القادر (١٨٣٢–١٨٤٧)م بعد الاحتلال الفرنسي مباشرة، وانتهاءً بثورة الأوراس عام ١٩١٦م[٩]، لا يجدها في بعض معانيها

[٩] ثورة الأوراس ١٩١٦م: هي واحدة من الثورات التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي وتسمى أيضاً بثورة مستاوة، اندلعت في ١٩١٦/١١/١١م، في جبال الأوراس شرق الجزائر، بسبب تدهور

إلا امتداداً للجهاد الإسلامي ضد الغزاة الصليبيين، كونهم لا يرون في الحدود التي وضعها الاستعمار الفرنسي إلا حدوداً فاصلة بين المسيحية والإسلام، ومن هنا كانت الفكرة التي عايشها الجزائريون من أن الدفاع عن أرضهم هو دفاع عن الأمة الإسلامية جمعاء.

«لقد أدرك بعض الفرنسيين بأن المسلمين الجزائريين كانوا يحاربون فرنسا بوحي من شعورهم الديني الذي يقف وراءه انتماؤهم إلى الوطن الإسلامي العريض وسيستمر هذا الشعور إلى غاية سنة ١٩٣٠م، أين تمتزج نزعتهم الإسلامية مع فكرة القومية العربية»(ناصر ، ١٩٧٨، مجلد(٢)، ص ١٥٨)، هذا على الرغم من الحصار الذي ضربه الاستعمار الفرنسي حول الجزائريين بُغية عزلهم عن بقية العالم الإسلامي، ولعل «الأحداث السياسية التي يمكن أن نعدهاسببًا رئيسًا في بعث هذه المشاعر كانت ردود أفعال الجزائريين حولها لا تنطلق إلا بعيون مسلمة».(ناصر ، ١٩٧٨، مجلد(٢)، ص ١.(**9**

إن من يقرأ في هذه المرحلة المتقدمة مشاعر الجزائريين نحو الشرق والعروبة يدرك فعلاً أن إحساسهم بانتمائهم إلى الوطن العربي إحساس لم ينشأ فجأة أو هو وليد الظروف الحالية، وقد لخَّص لنا الشيخ محمد البشير الإبراهيمي[١٠] هذا الإحساس بقوله: «... داوي الكلوم يا شرقُ شرقُ في منازلنا استشفينا بك تجد الراحة والعافية ونظفر بالأدوية الشافية... ومازالت أفئدتنا تهوى إليك فتصافحها حرارة الإيمان وبرد اليقين وروح الإيمان...») ناصر، ١٩٧٨، مجلد (٢)، ص ١٩)، وإذا استعرضنا أدب الجزائر خاصة الشعري منه في التأريخ وجدنا الشعراء والكتاب يلحون على العروبة وعلى الإسلام الذي أدى دور حامي العروبة ليس في الجزائر فقط؛ بل بأقطار المغرب العربي كلها، وهذا راجع إلى الحرمان الذي كان يحسّه الجزائري في ممارسة دينه وعروبته بالجزائر.

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، وفرض التجنيد الإجباري على الأهالي بسبب الحرب العالمية الأولى،.للاطلاع راجع:
نور الدين بن قويدر، (جانفي ٢٠٢١م)، البعد الوطني لثورة الأوراس ١٩١٦ ومشروع الجمهورية الجزائرية.، مجلة الإحياء، الجزائر، مج ٢١، ع ٢٨، ص-ص (٩٧١- ٩٨٢).

(١٠) الإبراهيمي (محمد البشير) (١٨٨٩ - ١٩٦٦)ولد براس الواد (قرب سطيف)... هاجر إلى الحجاز مع أهله قبيل الحرب العالمية الأولى.... وفي سنة ١٩١٣م اجتمع بالشيخ عبد الحميد بن باديس واستعرضا حال الجزائر وفي عام ١٩١٨م سافر إلى الشام ومكث في دمشق مدة ، وفي أوائل عام ١٩٢٠م رجع إلى الجزائر...ساهم في تأسيس جمعية العلماء عام ١٩٣١م. تقلد رئاسة الجمعية وقام بأعبائها خير مقام وفي عهده فُتحت عشرات المدارس الحرة كما كانت له مشاركته السياسية من خلال مساهماته في العمل النضالي مع جبهة التحرير الوطني في المنفى وشهد استقلال الجزائر، ووافته المنية في شهر ماي ١٩٦٦.للإطلاع أكثر راجع: ابن عتيق: أحداث و مواقف ، ص.ص(١٨٥- ١٩٤)- أحمد الخطيب: جمعية العلماء المسلمين، ص . ص (١٤٨-١٥٧).- أحمد بن ذياب: "الإبراهيمي ونضال الكلمة" الثقافة، عدد ٣٣، ص.ص (٦١-٧١)- شوقي أبو خليل، (١٩٩١م)، الإسلام وحركات التحرر العربية، دمشق، دار الفكر ، ص.ص (١٠٦-١٠٩).- أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة مرجع سابق، ص.ص (١٧٩-١٨١)- بوصفصاف: جمعية العلماء، مرجع سابق، ص.ص (٦٦-٧١)..

فالوعي القومي بالجزائر امتزج بالإسلام، على الرغم من الحملات الاستعمارية المتعددة من مصادرة للمدارس والأوقاف ونشر التنصير والفرنسة وتشجيعًا للطرق الصوفية الضالة، اذ يقول الجنرال بيجو» :(Thomas Robert Bugeaud)[١١]في خلال عشرين سنة لن يكون للجزائر إله غير المسيح، أما العرب فلن يكونوا ملكًا لفرنسا ،إلا إذا أصبحوا جميعًا مسيحيين..» (سعدي، ١٩٨٢، ص ١٣٤)، وهو ما دعا شاعر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[١٢] محمد العيد آل خليفة[١٣] إلى أن يحس بغربة في بلده ويؤكد دوام عروبته:

إن الذي يبغي إندما *** جك في سواك لأحمقُ

لا يمحي شعب بشار *** ات الرسول مطـوقُ

ونفس الأمر كان يحسه الشاعر حمزة بوكوشة[١٤] بقوله:

يا بلبل الشرق ما أشجاك أشجاني *** قم ناجي قلبي بتغريد وتحنانِ

فأنا مثلي كئيب حل في شـرك *** وأنت مثلي غريب بين أوطاني

وفي ذات السياق يذكر الشيخ عبد الحميد ابن باديس[١٥] سنة ١٩٣٧م: « أن الاتحاد الإسلامي، والوحدة العربية بالمعنى الروحي والمعنى الأدبي والمعنى الأخوي هما موجودان،

---

(١١) توماس روبير بيجو دولا بيكونيري(Thomas Robert Bugeaud))، (١٧٨٤- ١٨٤٩)م، ماريشال فرنسي، تولى الحكم في الجزائر المستعمرة، أشتهر بالعنف، حيث طبق سياسة الأرض المحروقة للقضاء على المقاومات الجزائرية. للإطلاع أكثر راجع: لعبة حورية، (٢٠٢١م)، سياسة المارشال بيجو في مستعمرة الجزائر (١٨٣٦-١٨٤٨م)، المجلة الجزائرية للدراسات التأريخية والقانونية، مج ٦، ع ١، الجزائر، ص-ص (٦-١٩).

(١٢) جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٣١-١٩٥٦)م، هي جمعية إسلامية جزائرية أسسها مجموعة من العلماء الجزائريين في ٠٥ مايو ١٩٣١م، واتخذت الجمعية(الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا) شعارا لها، على يد الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس. للإطلاع أكثر راجع: بوصفصاف (عبد الكريم)، جمعية العلماء، مرجع سابق.

(١٣) محمد العيد آل الخليفة (١٩٠٤-١٩٧٩)م: ولد في عين البيضاء وتعلم القرآن الكريم واللغة العربية في مسقط رأسه. ثم أكمل نشأته في بسكرة ودرس على شيوخها على بن إبراهيم العقبي الشريف والمختارين عمر اليعلاوي والجنيد أحمد المكي، تـابع دروسـه في جامع الزيتونة عام ١٩٢٢م لمدة سنـتين، ليعود بعدهـا إلى بسكرة حيث أصـدر مع العمودي جريدة صدى الصحراء ومع العقي جريدة الإصلاح في١٩٢٧م وفي سنة ١٩٢٧ أُوكلت إليه مهمة التدريس بمدرسة الشبيبة الإسلامية كما أسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين وفي عام ١٩٥٤م يُلقى عليه القبض ثم تُفرض عليه الإقامة الجبرية. للإطلاع راجع: -دوغان، شخصيات، ص.ص (١٤ – ١٦).- بن سمينة، محمد العيد، ص.ص (٧ - ٢٩).- بن قينة، محمد العيد، ص.ص (٣٤٣ – ٣٧٠).- جغلول، الاستعمار والصراعات، ص.ص (٨٢ - ٨٣).

(١٤) بوكوشة حمزة (شنوف) (١٩٠٧ – ١٩٧٩)م : من مواليد وادي سوف، درس بالزيتونة وتخرج منها سنة ١٩٣٠م، نشر قصائد عديدة في جريدة الوزير، ساهم في الحركة الإصلاحية بمقالاته التي نشرت بجريدتي الشهاب والبصائر، كما عمل بسلك القضاء ثم عمل بمدارس الجمعية في دلس وقسنطينة والجزائر..وأُعتقل سنة ١٩٥٧م، وبعد الاستقلال استأنف عمله في التعليم الثانوي وحصل سنة ١٩٧١م على شهـادة الليسانس في الحقوق فعُين مستشارًا في مجلس القضاء الأعلى كما فتح مكتبًا للمحاماة بعد تقاعده. . للاطلاع راجع: الجابري محمد الصالح، (١٩٨٣م)، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، تونس، الدار العربية للكتابص ١٨٨. هـ١. بن قينة، صوت الجزائر، مرجع سابق، ص.ص(٣٧٥ –٣٨٥).

(١٥) بن باديس عبد الحميد (١٨٨٩ – ١٩٤٠)م : هو عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس. ولد بقسنطينة في أسرة مشهورة بـالعلم، بدأ حياته الإصلاحية كواعظ بقسنطينة، لـيُؤسس بدءًا من سنة ١٩٢٥م عدة جرائد كالمنتقد والشهاب؛ ثم ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين منذ ماي ١٩٣١م، وترأسها إلى وفاته في ١٦ أفريل ١٩٤٠م. للاطلاع أكثر طالع: البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص

تزول الجبال ولا يزولان، بل هما في ازدياد دائم بقدر ما يشاهد الناس من عمل في الغرب ضد العروبة والإسلام ..» ويضيف أيضاً:«...لو كان لعرب الجزائر حركة مطلقة كغيرهم من الأمم لظهر ذلك الشعور بأوضح المظاهر وأشدها تأثيرًا، وحسبهم تاريخهم القديم شاهدًا»(الخرفي، ١٩٧٧، ص.ص١٣٩ – ١٤١) . للتوسع حول قضية مشاعر الجزائريين الإسلامية والعربية، يراجع:- بن قدور، ١٩٠٦/٠٢/٠٧م، ع.**(1945)**

ومحمد الهادي الزاهرى[١٦] صاحب كتاب(شعراء الجزائر) يؤكد هذا التعلق بروافد المشرق العربي في فترة كانت فيها القطيعة المفروضة من طرف المستعمر تزيد التعلق عمقًا، وترفض جسور التواصل معه، ويُعدد الزاهري الدوريات التي يسيرها المواطن من الشرق، ويسمي «الشعراء الذين كانت دواوينهم ومختارات أشعارهم مثار المناقشات الأدبية ونموذج الصياغة في المدارس والمعاهد، فلا يكاد في تعداده ذلك يغفل شاردة ولا واردة تناقلتها الأندية الأدبية في المشرق حتى لكأن الحصار الذي فرضه الاستعمار الفرنسي على المنطقة في وجه التواصل العربي الإسلامي تلاشت غيومه وتهاوت أسواره الحديدية»(الخرفي، ب.ت، ص ١٧٢)، وفي مطلع قصيدة محمد العيد آل خليفة السابقة نلاحظ إلحاحه على الماضي التليد مما يُنمي عن إحساس عميق بالعروبة والارتباط بالأمة الإسلامية ويؤكد ذلك بقوله أيضاً:

وما نحن إلا من سـ لالة ياعرب *** فمن رام عنها فصلنا باء بالرغمُ

سلام أزهار الربى طيب الشذى *** على قد في عروبتـه شهـمُ

وفي قصيدة أخرى ينظر إلى العروبة كهدف ومصير:

ما نحن إلا إخوة من أسرة *** كرمت أرومتها وطاب المحتدُّ

إن العروبة أمنا الكبرى التي *** في الأمهات نظيرها لا يوجدُ

وليحي في ظل العروبة ودنا *** ملء القلوب وعهدنا المتأبدُ

أما شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا بن سليمان[١٧] فإنه كان أكثر حدة في أسلوب تعبيره عن هذا التفاعل:

٦٩٥.- عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب، مرجع سابق، ص.ص (٦١ - ٩٣).- بوصفصاف، جمعية العلماء..، مرجع سابق، ص.ص (٥٨ – ٦٥).- الجندي أنور، الفكر والثقافة، مرجع سابقن ص ٥٤.

(١٦) الزاهري محمد الهادي السنوسي (١٩٠٢ – ١٩٦٩)م : شاعر وأديب ولد بقرية ليّانة " قرب بسكرة " تعلم بقسنطينة وتونس وشارك في النهضة الإصلاحية، حيث كان من أوائل معلمي ومدرسي المدارس الحرة للجمعية. وقد ألجأته ظروف قاهرة في الحرب العالمية الثانية إلى العمل بالإذاعة الجزائرية ليعود بعد الاستقلال إلى التعليم الثانوي...توفي في حادث تسمم بالغاز.، للاطلاع راجع: - الهادي السنوسي، شعراء الجزائر، ج١. مصدر سابق- بوكوشة حمزة، (١٩٧٤م)، الشيخ الهادي السنوسي الزاهري، مجلة الثقافة، ع(٢٤). الجزائر، وزارة الثقافة، ص.ص (٩٩ – ١٠٢).

(١٧) مفدي زكريا بن سليمان بن يحي (١٩١٢ – ١٩٧٣)م: ولد بقرية بني يزقن وحينما شبَّ أدخله والده الكتّاب، ارتحل لتونس ودرس في المدرسة الخلدونية...ثم في الجامع الأعظم...ثم مدرسة الترجمة. وتحصل

يا أمة العرب الكرام كرامة *** لك في الجزائر حرمة وذمامُ
في كل أرض للعروبة عندنا *** رَحم تشابك عندها الأرحامُ

وفي موضع آخر نجده لا يمل من الحديث عن العروبة والوحدة:

وفي الشرق إخوان كرام أعزه *** عروبتنا كم عبَّدت بيننا الطرقا
هي الوحدة الكبرى فمن رام قطعها *** فقد رام أن يستلَّ من صلبنا عرقا
رسول الشرق قل للشرق إنَّا *** على عهد العروبة سوف نبقا

(ركيبي ، ١٩٨٣م، ص.ص ٢٤-٢٨)

وفي مطلع القرن العشرين الميلادي ذكّر الأمير خالد الهاشمي[١٨] بقوة، بالخطوط العريضة للهوية الوطنية عندما أسس في ١٩٢٣/٠٨/١٥م (رابطة الأخوّة الجزائرية) (Ligue Algérienne de la Fraternité) التي تضمّن برنامجها كثيرًا من تطلعات الجزائريين إلى التحرر وتحسين الأوضاع المعيشية إضافة إلى ضرورة تحقيق فكرة الإتحاد المغاربي، وقد تأكدت هذه القناعة في مؤتمر بروكسل سنة ١٩٢٧م، كما وضع نجم شمال إفريقيا[١٩] في مايو ١٩٣٣م برنامجًا سياسيًا متكاملاً يتضمن ضرورة العمل القومي المغاربي.

ويعتبر «النجم أول تنظيم سياسي يقدّم القضية الوطنية الجزائرية في إطار المغرب العربي وحركة التحرر العربي»(ولد خليفة، ١٩٩١، ص ٦٥)، ويؤكد بوضوح ومنهجية الانتماء الحضاري العربي الإسلامي للشعب الجزائري، وقد كان لعلاقة هذا التنظيم بشكيب أرسلان أثر بارز في إحساسه الشديد بما كان يدور على الساحة المشرقية للعالم العربي وتبنيه في وقت مبكر جدًا لفكرة الوحدة المغاربية من فزان إلى طنجة، ثم يعود النجم مرة

على شهادة الثانوية، كما نشط داخل حزب النجم ثم حزب الشعب، وزج به في السجون أكثر من مرة. وشارك في الثورة الجزائرية. وبعد الاستقلال آثر البقاء في تونس إلى وفاته من آثاره دواوين شعرية. للاطلاع راجع: - الهادي سنوسي، شعراء، ج١، مصدر سابق، ص.ص (١٥٠ – ١٥١). - نويهض عادل، (١٩٨٣م)، معجم أعلام الجزائر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية ، ص ٣٠٩.- هلال عمار، (١٩٩٥م)، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص ٩٥.- الجندي، الفكر والثقافة، مرجع سابق، ص.ص(٢٦٦–٢٦٧).

[١٨] الأمير خالد الهاشمي: (١٨٧٥-١٩٣٦)م: (حفيد الأمير القادر)، ولد بدمشق... ليرحل مع والده إلى الجزائر في عام ١٨٩٢م، حيث انخرط في ثانوية لويس لوغران بباريس ثم بكلية سان سير الحربية في عام ١٨٩٣م، ليعود إلى الجزائر في عام ١٨٩٥م. بسبب نشاطاته السياسية قامت الإدارة الاستعمارية بنفيه إلى فرنسا ثم مصر. وفي سنة ١٩٣٦م قضى نحبه في دمشق. للتوسع طالع: الشهاب، عدد (جوان ١٩٣٤م).- قداش، الأمير خالد وثائق، ص.ص(٢٧ – ٤٩). - قداش، "الأمير خالد ونشاطه السياسي"، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، جانفي ١٩٨٦ م، عدد ٤. سعد الله، (جوان ١٩٧٣)، "حركة الأمير خالد"، مجلة الجيش، عدد ٣، ص.ص (١٧ – ٣٠). - بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي، ص ٣٢٣.

[١٩] نجم شمال أفريقيا من أوائل الأحزاب الجزائرية تأسيساً، تأسست بالأصل في فرنسا في مارس ١٩٢٦م، كان رئيسه الشرفي الأمير خالد، في بداية التأسيس كان يمثل أيضاً التونسيين والمغاربة لكنهم انسحبوا سنة ١٩٢٧ ليصبح النجم حزباً للجزائريين وحدهم. للاطلاع راجع: قنانش (محمد) و قداش (محفوظ)، (١٩٨٤م)، نجم الشمال الإفريقي (١٩٢٦- ١٩٣٧)م، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

أخرى في صورته الجديدة فيطالب باسم جديد هو حزب الشعب[٢٠] سنة ١٩٣٨م بوجوب تحقيق الوحدة المغاربية، وهو نفس ما ألحَّ عليه سنة ١٩٤٣م حزب أحباب البيان والحرية[٢١]، كما جاء في برنامج حركة الانتصار للحريات الديمقراطية[٢٢] المؤسسة عقب الحرب العالمية الثانية كامتداد لحزب الشعب أن هدفها هو التنسيق مع الشعوب المغاربية والعربية من أجل طرد الاستعمار الغربي.

٢. عوامل انتشار الوعي القومي لدى النخب الجزائرية

لقد «أدى انضمام الجزائر إلى حظيرة الأمة العربية وانتشار الدين الإسلامي والثقافة والدماء العربية في وقت مبكر إلى صبغها بالصبغة العربية الإسلامية».(مرسى، جوان ١٩٨٩، ع(١٤)، ص ١١٤) فعرفت الجزائر من حيث الاختيار الديني ما عرفته الأقطار الإسلامية الأخرى غير أن الجزائر عرفت فيما بعد «وحدة مذهبية (المالكية)، ويكفي أننا لا نجد فيما بعد القرن الرابع عشر ديناً غير الإسلام»(الكثيرى، ١٩٨٦، ص ٢٢). (الكثيرى، ١٩٨٦، ص ٢٢). وسكان المنطقة يفهمون الدين على أنه أساس الوطنية ولا يقولون مغربي أو جزائري أو مصري أو سوري أو عربي بقدر ما يقولون مسلم، فالوعي إذن كان وطنيًا ولكن بالمفهوم الديني « وأظن أن المستعمرين لو لم يكونوا مسيحيين ولم يمسوا الدين الإسلامي بمحاولة نشر المسيحية في المناطق البربرية على الأخص لكان من الصعب بث الوعي ضدهم في بداية الأمر باعتبارهم مستعمرين يسلبون سيادة الدولة ويتصرفون في مقدراتها».(الأزهر، ١٩٨٨، ص ٣٦). راجع أيضاً- (زنيير، سبتمبر ١٩٨٥، ع (٧٩)، ص.ص٢٣-٥٠).

ومن هنا فقد كان الفكر القومي غير قادر على القيام بنفس الدور الذي قام به الدين الإسلامي في لحم الشعب الجزائري ببعضه البعض ودفعه للمساهمة والتفاعل، وعلى هذا فالتواصل بين شرائح المجتمع الجزائري الحادث هو تواصل معنوي ورباط ديني عقدي أو قل عرقي لغوي أكثر منه تواصل طبيعي ومناخي متوحد « وبالتالي فقد كان الدين الإسلامي على طول التطور التأريخي لهذه المنطقة أهم عامل في توحيد الشعب الجزائري ونخبته، واستطاع أن يصب كل جماعاتهم في كتلة متجانسة».(ألفرد، ١٩٨٧، ص ٤٢).

---

(٢٠) حزب الشعب الجزائري: أسسها مصالي الحاج في ١٩٣٧/٣/١١م، بعد حظر نجم شمال أفريقيا، ويعتبر هذا الحزب الجديد امتدادًا له حيث حافظ على اتجاهه وهياكل وأهدافه.في عام ١٩٣٨، رافع حزب الشعب الجزائري لصالح تحرير الشعب الجزائري.

(٢١) أحباب البيان والحرية (AML): أول الحركات السياسية نشأوا بعد حل كل الأحزاب الوطنية الجزائرية بسبب الحرب العالمية الثانية، أسسه فرحات عباس، بتاريخ ١٤ مارس ١٩٤٤م.

(٢٢) حركة الانتصار للحريات الديمقراطية: نشأت بعد مجازر ١٩٤٥/٥/٨م، امتدادا لنهج حزب الشعب الجزائري، سنة ١٩٤٦م، ترأسه مصالي الحاج، بالجزائر العاصمة.

وانطلاقاً مما سبق فلقد شكّل الإسلام أهم مقوّم من مقومات الكيان الجزائري ما من شك في ذلك لقد صهر كل المقومات الأخرى واستوعبها بصورة تركيبية، فقد ارتبطت به ثقافة المجتمع وطقوسه اليومية وأعطى الكيان الوطني كل عناصر الوحدة والبقاء ومكّن الجزائريين من عناصر تحديد شخصيتهم وصاغ وعيهم الجماعي بالنسبة إلى العالم، وبكلمة أخرى فقد «مثّل فضاء تكوينهم الفكري والنفسي والاجتماعي ولاعتبارات تاريخية لم يرقَ شُعور الجزائريين بالعروبة إلى مصاف شعورهم بالإسلام»(هنري، وأندرى، وايف، ب.ت، ص.ص١٣٣– ١٣٨)، وعدم «إدراك العروبة بمعزل عن الإسلام كان يجعل الجزائريين يستغربون وجودًا عربيًا مسيحيًا، بل أن إدراك ذلك كان أمرًا مربكًا لهم تمامًا وهو ما لم يحصل إلا في في مراحل متأخرة فقط» (بلقزيز ، ١٩٩٢، ص ٢١).

ويجدُر بنا هنا أن نتساءل عن العوامل الأساسية التي جعلت النخب الجزائرية تشعر بأنها من أمة واحدة ومتميّزة عن أبناء الأمم الأخرى.

- **وحدة الأصل والمنشأ:** كان الرواد الأوائل لهذا التواصل السياسي والفكري يجْزمون بأن جميع أفراد الأقطار العربية يَكونون بمثابة الأشقاء المنحدرين من صلب أب واحد ولذلك نجدهم يكررون في مراسلاتهم وصحفهم وفي كل المناسبات كثيرًا من التعبيرات الدَّالة على هذا الزعم كقولهم «أجدادنا، آباؤنا، إخواننا، أشقائنا...» رغم أن هذا الظن لا يستند إلى أساس صحيح، فحقائق التأريخ تترك مجالاً للشك في أنه لا يوجد على وجه البسيطة أمة تنحدر من أصل واحد فعلاً ولا أمة خالصة الدم تمامًا، لكن يرجع جزمهم ،إذًا إلى أن إمعانهم في الترابط والتواصل ارتقى بهم إلى درجة الأخوّة وكأنهم عائلة واحدة، بمعنى أمة واحدة.

«وكذلك اعتقادهم أن المهم في القرابة والنسب ليس رابطة الدم في حد ذاتها بقدر ما هو الاعتقاد بها والنشوء عليها»)الحصري ،**1985** ، ص ٢٠)، ذلك أن الاعتقاد بوحدة الأصل والشعور بالقرابة عمل عملاً هامًا في زيادة روح التضامن والترابط بين الجزائريين وإخوانهم العرب، سواءً أكان ذلك موافقًا للحقيقة أم مخالفًا لها، فالقرابة بينهما كانت قرابة نفسانية معنوية أكثر مما كانت جسمانية ومادية.

- وحدة الدين واللغة والتاريخ: فاللغة العربية كانت هي واسطة التفاهم فعلاً عن أنها كانت أداة التفكير والنضال وواسطة لنقل الأفكار وتبادل المكتسبات، مما كان له تأثير عميق على العواطف والمشاعر.. «أما التاريخ المشترك فكان بمثابة الشعور بالذات والشخصية المتفردة فوحّدت تاريخهما مما تولَّد عنه تقاربًا في العواطف والنزعات لأنه أدى إلى تماثل في ذكريات المفاخر السابقة وفي ذكريات المصائب الماضية كما أدى إلى تشابه في أماني النهوض وآمال المستقبل».(الحصري ، ١٩٨٥، ص.ص٢١ – ٢٢)

وعندما نقول وحدة التاريخ يجب أن لا نفهم من ذلك الوحدة التامة في جميع أدوار التاريخ بل يجب أن نفهم من ذلك الوحدة النسبية والغالبة التي تتجلى في أهم صفحات التاريخ وإلا لما استطعنا أن نجد أمة واحدة كانت موحدة على طول تاريخها توحيدًا تامًا.

- تأثير الصحافة والنهضة المشرقية في الجزائر: من أهم دوافع التفاعل التي جعلت النخب الجزائرية تشعر بأنها من أمة واحدة هو ذلك التأثير المعنوي الآتي من المشرق العربي، الذي عاد عليها بالجدوى في كل نواحيها، لقد كان لنهضة مصر ولزعمائها كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وتلاميذهم ومصطفى كامل ومحمد فريد وعبد العزيز جاويش وأنصارهم، أبلغ الأثر في نفوس الجزائريين وأهل المغرب الكبير «حيث كانت الجزائر في أول القرن العشرين ترقب وصول بريد المشرق في شوق بالغ، فإذا وصل تسارع الناس إلى قراءة ما يصل من كتب المشرق ومجلاته».(دبوز ، ١٩٧١، ج(٢). ص ٢٨).

وكانت (مجلة المنار) التي تنشر آراء الشيخ محمد عبده وتدعو بدعوته أكبر الأثر في نفوس أهل الجزائر وتونس فكانوا يرون في (المنار) أكبر عون لهم في الإصلاح الذي يقوم به زعماء نهضتهم، حيث كان هؤلاء الأخيرين يقرؤون فصولاً من (مجلة المنار) في نواديهم ومجالسهم للجماهير ويوجهون تلاميذهم وأنصارهم إلى (مجلة المنار)، ويذكر الشيخ رشيد رضا في كتابه (تاريخ الإمام عبده) أن الإمام محمد عبده عندما زار الجزائر وتونس في صيف عام ١٩٠٣م «وجد له حزبًا دينيًا كوَّنته مجلة المنار».)تركي، ١٩٧٥م، ع)٢)٤، ص ٧٨)- يراجع أيضاً:- (سليمان، جويلية ٢٠٠٠، ع(٢٨٤))- (الزبير، ١٩٨٢، ج(٤)، ص.ص ٩٧- ١٠٠).

كما كان الشيخ محمد عبده بمجلة (العروة الوثقى) وبكتبه الأخرى من التأثير في نفوس المثقفين في الجزائر وتونس، ما لم يكن لأي زعيم ديني آخر، كرسالة التوحيد التي عكف عبد الحليم بن سماية[٢٣] على تلقينها لتلاميذه في المدرسة الثعالبية، وكان بعد الشيخ محمد عبده ورشيد رضا في التأثير في نفوس أهل الجزائر وتونس الشيخ عبد الرحمان الكواكبي بكتابيه (أم القرى)، و(طبائع الاستبداد)، وكذا الشيخ "مصطفى الغلايني"والشيخ طنطاوي جوهري وكتابه (نهضة الأمة وحياتها) والأمير"شكيب أرسلان" بكتابيه (لماذا تأخر المسلمون

[٢٣]بن سماية عبد الحليم (١٨٦٦-١٩٣٣) م : من أوائل المصلحين الجزائريين، تنتمي أسرته إلى آل سماية وهي أسرة تركية من أتراك أزمير، ولد بالجزائر وتعلم بها وبتونس تولّى خطة التدريس بالعاصمة في ديسمبر ١٨٩٦م ثم بالجامع الجديد في أكتوبر ١٩٠٠م، ودرّس بالمدرسة الثعالبية أيضًا. وفي أواخر عمره أُصيب بمرض عقلي. ومن أهم آثاره: اهتزاز الأطواد والرُبى من مسألة تحليل الربا، كما نشر في جريدتي كوكب إفريقيا والإقدام. للاطلاع راجع: - نويهض، أعلام، مرجع سابق، ص.ص (١٧٨- ١٧٩).- دبوز، نهضة الجزائر، ج١، مرجع سابق، ص.ص (١٠٦ – ١٢٥). -عمار هلال، العلماء الجزائريون، مرجع سابق، ص ٨٥.

وتقدم غيرهم)، و(حاضر العالم الإسلامي)، والشيخ "محي الدين بن الخطيب"ومجلته "الفتح" وثيق الصلة بمصر، تغشاه في كل أسبوع صحفها الحرة، ومجلاتها الراقية فيقرؤها وينتقي لنا منها أكثر حرارة فيقرؤها علينا كل خميس..كما يُعرفنا بالمجلات والكتب الراقية التي يجب أن تقرأها كجرائد: الشعلة، الصرخة، مصر الفتاة، الشورى، الجهاد، الرسالة، المقتطف، الهلال.. وكنا نعرف عن كتاب مصر وشعرائها وعلمائها وزعماء مصر السياسيين ما لا يعرفه كثير من تلاميذ مصر في جامعتها، وذلك للعلاقات الثقافية القوية بين مصر وشمال إفريقيا في تلك العهود...». (دبوز، ١٩٧١، ج(٢)، ص ص ٢٨ – ٣٢).

- تأثير الفكر القومي المشرقي على النخبة الجزائرية: في سنة ١٩٢٥م لاحظ المؤرخ الانجليزي "أرنولد توينبي" (Arnold Toynbee) أن: « الجزائر منطقة من العالم الإسلامي ،اذ كان من الصعب على المجتمع الإسلامي أن يحافظ على قواعده الخاصة»(سعد الله، ١٩٨٥، ج(١)، ص– ص١٣–١٥)، حقًا إن التأثير الغربي كان بالقوة أقوى في الجزائر منه في أي جزء آخر من العالم الإسلامي ولكنه واقعيًا، كان ضئيلاً وسطحيا «لعدة أسباب:

- عن الخاصية الرئيسية للحكم الفرنسي في الجزائر كانت الاستغلال لا الحضارة فقد خلق مجتمعين بقيا منفصلين بإجراءات شرعية وحواجز اجتماعية.
- إن المجتمع إنم جافًا ومحافظًا ومتشككًا من التسرب الفرنسي الذي اعدوه تهديدًا لثقافتهم، ولهذا دعوا إلى المحافظة على إرثهم الحضاري المتوارث ، واعدوه أي تغيير بأنه إحلال ثقافة أجنبية محلها».(سعد الله، ١٩٩٢، ج(٢)، ص٣٢٩)

كما لاحظ توينبي: «أن الحركات الوطنية في مصر وفلسطين وسورية تجد لها صدى في الجزائر..» (سعد الله، ١٩٩٢، ج(٢)، ص٣٢٩)، ورغم العقبات الكثيرة التي وضعتها السلطات الفرنسية أمام الصحافة المشرقية فإن هذه الأخيرة قد استمرت في التسرب إلى الجزائر بشتى الطرق، وقد أبقت هذه الصحافة النخبة الجزائرية على إطلاع بكل أحداث العالم وفق نظرة محددة واحدة ساهمت إلى حد ما في توحيد مواقف النخبة الجزائرية، وتحت عنوان "رسالة من مسافر عراقي نشر بالجريدة البغدادية (العراق) في ١٨ ديسمبر١٩٢٨م صحفي عراقي زار منطقة شمال إفريقيا مقالاً قال فيه: « أنه في بعض الحالات يذهب الجزائريون إلى تونس والشرق الأدنى، ويتعلمون اللغة العربية والفكرة القومية ثم يعودون إلى بلادهم...»(بحري، ب.ت، ص ٢٥)، وقد أنهى كاتب الرسالة ملاحظاته بإعلان «أن الجزائر كانت في طريق التطور مجارية الخط الذي كان يتطور فيه الشرق الأدنى».(بحري، ب.ت، ص ٢٥).

وكـان «للنهضـة القوميـة فـي المشـرق العربـي فـي نهايـة القـرن (١٩م) وبدايـة القـرن العشرين، والتـي ظهرت علـى يـد ثلـة من القوميين العرب...الأثر العميق فـي بـروز وتجلـي فكرة التحرر القومي لـدى النخبـة الجزائريـة»)خيريـة، ١٩٨٢، ص ١١٣)، وقد كانـت روافد الاتصال ثلاث:

- نشاط الزعماء المشارقة وتأثيرهم في قادة الحركة القومية في المغرب العربي.
- الزعماء المغاربـة الذين زاروا المشرق وتشبعوا بالأفكار القومية العربيـة.) للإطـلاع علـى تطور القومية العربية أنظر : (حوراني، ١٩٧٧، ص.ص ٣١١- ٣٨٥).
- الصحف والمجلات المشرقية التي كانت تصل أقطار المغرب العربي.

ويعزو بعض المؤرخين والكتاب تأخّر ظهور الفكرة القومية في المغرب العربي عمومًا وفي الجزائر ، ولاسيما إلى هذا التدهور الذي أصاب أركان المجتمع القديم، وقد يكون ذلك صـحيحًا ولكننـا نـرى أن انـدثار الأسـس القديمـة سـاعد فـي نفس الوقـت علـى ظهـور الفكـرة القوميـة بمفهومهـا الحـديث، أي ارتبـاط الفكـرة الوطنيـة بـإقليم محـدود مـن الناحيـة الجغرافيـة، وتبعًا للمبدأ القائل بأن الأشياء تُولد نقائضها فقد ساهم الفعل الاستعماري في إعادة إحياء الحركة الوطنية الجزائرية، بعد أن قضت السلطة الفرنسية المركزية القوية على عوامل التفكك القديم. ويذكر أحد الكتاب: «أن انـدثار شخصـية الجزائـر كدولـة كـان مـن الأسـباب العديـدة لتأخر ظهور الحركة الوطنية بها، حيث ادعى المؤرخون الفرنسيون بهذا الصدد أنـه لم تكن بالجزائر دولة معترف بها دوليًا قبل سنة ١٨٣٠م، مما استدعى ردودًا من الكتاب الوطنيين المعاصـرين، ولا شـك أن اتخـاذ الجزائـر كمسـتعمرة اسـتيطانية كـان أعظـم خطـر يهـدد كيـان الجزائر كقطر عربي إسلامي».(العقاد، ١٩٦٤، ص.ص ٧-٨).

إن أوضـاع الجزائر كما بيَّناها فيما سبق لم تكن تساعد على حركة قومية ثابتة الأركان ،وهكـذا تباينـت أهـداف القـادة السياسـيين الـذين ظهـروا قبيـل الحـرب العالميـة الأولـى، حتـى منتصف القرن العشرين تقريبًا، فلم يتفقوا على أهداف قومية واضحة إلى أن برز إلى الوجود قادة الثورة الجزائرية الكبرى وخرجت الجزائر دفعة واحدة من عهد التردد إلى الثورة الوطنية المسلحة، «فمحـاولات الاستعمار لتحطيم الثقافة الوطنية كان أكبر عائق واجه نمو الحركة القوميـة، فقبـل ترسّـخ الأفكـار القوميـة الحديثـة فـي العـالم العربـي الإسـلامي كانـت الرابطـة الإسـلامية والثقافـة العربيـة، همـا العنصـران الأساسـيان فـي إيجـاد قاعـدة تأريخيـة للانبعـاث الجديد، وقد أضعف الاستعمار الفرنسي كلا العنصرين في الجزائر، ذلك بأن ضرب ستارًا حديديًا عزل البلاد منذ زمن طويل عن محيطها الإسلامي العربي، ولكن الجزائر لم تعدم تمامًا وجود دعاة للقومية العربية يطالبون باستقلال البلاد على أساس عودتها إلى حظيرة العالم العربي».(العقاد، ١٩٦٤، ص ٢٠).

وكان الكتاب الفرنسيين المعاصرين على علم بانتشار فكرة القومية بين الجزائريين وبين أهل إفريقيا الشمالية عمومًا، ويقول "ديبارمي"(Perez Deparmy): « بأن مبدأ القومية قد دخل مرحلة جديدة في الجزائر...» (ديبارمي، يوليو ١٩٣٣، ص ٣٩٢)، للتوسع يراجع-: (سعد الله ، ١٩٩٢، ج(٢)، ص ٢٢١)

وخلاصة القول في هذا الموضوع أن الشعور القومي في الجزائر يعتبر فريدًا من نوعه بين المشاعر القومية في العالم المعاصر حتى بالنسبة إلى تلك المشاعر الموجودة في البلاد المجاورة للجزائر والواقعة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، فقد «كان الوطنيون الجزائريون بخلاف الوطنيين في كل مكان يطالبون بإجراء أول تبدلات ممكنة ضمن إطار الدولة الفرنسية والأحزاب السياسية الفرنسية».(غليسبي، ١٩٦١، ص ٥٥). راجع أيضاً: - (الكثيري،**1986** ، ص.ص ٢٠-٢١)، -)عبد العاطي، جويلية ١٩٧٩، ع**(2)**، ص ٢٦٢).

٢. الإسهام الجزائري في الفكر القومي العربي

١. النخبة الجزائرية بين الانتماء الإسلامي والنزعة القومية:

لا يفوتنا أن نسجل أن النزعة الدينية (الإسلامية) عند النخبة الجزائرية في مطلع القرن العشرين طغت على نزعة القومية (العروبة)، وظلت هاتان النزعتان تبرزان بين الحين والآخر على السطح كقوتي دفع للنضال ضد الاستعمار محلياً وللتضامن مع الأشقاء على امتداد البلاد العربية والعالم الإسلامي كلما تَجدُّ أحداث أو تحصل تطورات مشرقاً ومغرباً على مدى القرن العشرين، فقد دفعت هاتان النزعتان النخبة الجزائرية أثناء الحرب الطرابلسية للانتصار للمجاهدين الطرابلسيين وللجيش العثماني في حربهم ضد الإيطاليين عام ١٩١١م، وإلى التعاطف مع الدولة العثمانية ودول الوسط ضد فرنسا وحلفائها أثناء الحرب العالمية الأولى، وإلى الانضمام إلى تظاهرات الشعب التونسي ضد احتلال العاصمة العثمانية استانبول في أوائل شهر مارس عام ١٩٢٠م.

كما أبدت النخبة تعاطفاً مع الخلافة بعد إعلان مصطفى كمال أتاتورك عن استقلال الخلافة عن الدولة في ١٩٢٣م، ثم عن إلغائها بعد ذلك في عام ١٩٢٤م، و«تشكلت لجنة الخلافة في تونس برئاسة الجزائري أحمد توفيق المدني[٢٤] منذ عام ١٩٢٣م»(**Istitut**

[٢٤] المدني أحمد توفيق (١٨٩٩ – ١٩٨٣)م: ولد بتونس - من أصول جزائرية - تخرج من جامع الزيتونة ذو ثقافة واسعة، عُرف منذ حياته بنضاله الوطني وبنشاطه السياسي. كان من مؤسسي الحزب الحر الدستوري وجمعية العلماء المسلمين ونادي الترقي بالعاصمة، كان الناطق الرسمي لجبهة التحرير وعضوًا في الحكومة المؤقتة وبعد الاستقلال تقلد عدة وظائف ديبلوماسية. له مؤلفات كثيرة ومتنوعة للإطلاع راجع: المدني أحمد توفيق، (١٩٧٦م)، حياة كفاح (مذكرات)، ج١، ج٢، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. - بن قفصية، أضواء، مرجع سابق، ص.ص (١٢٧ – ١٣٣).

Supérieur d'Histoire du Mouvement National, A.N.O.M, Bob A464R, C2224(1), doc n° 223- 224).

فقد أوردت إدارة الأمن العمومي بتونس بتأريخ ٢٧/ ٠٨/ ١٩٢٣م(**Institute Supérieur d'Histoire du Mouvement National, A.N.O.M, Bob A464R, C2224(1), doc n°213)**، أن أحمد توفيق المدني سيجمع أعضاء لجنة الخلافة بتونس من أجل النظر في مسألة صلاحيات كل من الخليفة والشريف حسين قبل انعقاد المؤتمر الإسلامي باستانبول، وأن المدني سيقترح توجيه برقية إلى رئيس المؤتمر تبلغه أن لجنة الخلافة بتونس لا تعترف إلا بالخليفة ممثلاً للرسول (صلى الله عليه وسلم) وبأنه المسؤول الوحيد عن البقاع المقدسة.

وهكذا نرى أن النخبة الجزائرية قد تطارحت منذ مطلع القرن العشرين فكرة الوحدة الإسلامية والقومية والعربية حتى أنهم تحمَّسوا لها ونظروا إليها نظرة تاريخية مستقبلية ومصيرية، وأكدوا دور المثقف الجزائري في الدعوة إليهما، وذلك لتأكيد أن قضية الوطنية الجزائرية ترتبط ارتباطاً مصيرياً بالحل الشامل لقضية الأمة الإسلامية والعربية، وهو ما نجد له صدى بارز في أدب هؤلاء.

وليس عجباً أن نعثر في كتابات الرعيل الأول من المهاجرين الجزائريين أمثال: عمر راسم[٢٥] وعمر بن قدور[٢٦] على إشارات واضحة ومُفصحة عن انتماءات الجزائر العربية الإسلامية، واستمرار هذا التأكيد في مقالات (عبد الحميد ابن باديس) الذي يُعد بحق رائد العروبة في الجزائر للتوسع يراجع: (سعد الله، فبراير/ مارس ١٩٧٦). وقد ترسَّم تلاميذه لواء دعوته جيلاً بعد آخر حتى أن بعضهم كالشيخ البشير الإبراهيمي، كان يرى أن ابن باديس داعية من دعاة «وحدة الشعوب العربية».

---

(٢٥) راسم عمر (١٨٨٤ – ١٩٥٩)م: وهو عمر بن علي بن سعيد بن محمد البجائي، من مواليد العاصمة تعلّم بكتاتيبها، عُرف بأفكاره الإصلاحية والوطنية معتنقًا للعبدوية ومُنتصرًا لها، أنشأ مجلة الجزائر (١٩٠٨) ثم ذو الفقار (١٩١٣) اشتهر بإتقانه للخط العربي ورسم المنمنمات ولاقى المحن الشديدة في سجنه إبان الحرب الكبرى الأولى،ومن أثاره تراجم أعلام الجزائر (مخطوط) ومقالات عديدة. للاطلاع راجع: جريدة البرق، عدد ٠٢، (١٩٢٧/٠٤/١١).- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج٥، مرجع سابق، ص.ص (٢٨٢ – ٢٨٩). - محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج٢، مرجع سابق، ص ٢٢٧

(٢٦) بن قدور عمر (١٨٨٦ – ١٩٣٢)م: ولد بمدينة الجزائر، تعلم بالكتاب ثم بمدرسة الثعالبية عرف باتجاهه الإصلاحي ونشاطه الصحفي، أنشأ جريدة الفاروق ونفته السلطات الاستعمارية إلى الأغواط، أطلق سراحه سنة ١٩١٨م، بعدها عاد إلى نشاطه الصحفي من خلال جريدة الصديق... لكنه لم يلبث أن أعتزل ودخل في عزله صوفية. من مؤلفاته: " الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة ". للإطلاع راجع: - محمد ناصر، المقالة الصحفية، ج٢، مرجع سابق، ص ٢٢١. - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج٥، مرجع سابق، ص.ص (٢٦٧ – ١٨٢).

وبإزاء القصائد والكتابات التي شاركت بها النخبة الجزائرية في تنوير أذهان الناس بمعاني النزعتين الإسلامية والقومية وضرورة نصرتهما، يمكن أن نستنتج أن جميعها يهدف بالأساس إلى تأصيل الكيان الجزائري ووصله بارتباطاته القومية العربية، وإسهام الأديب والمفكر الجزائري في معالجة قضية الوحدة الإسلامية والعربية، ومشاركة أمته قلقها وتوقها وحلمها وهو ما نجده يتردد على لسان كل مثقف جزائري، ولعل المفهوم السياسي للعروبة كقضية قومية لم يتضح في أدب هؤلاء إلا مع أحداث فلسطين، ثم عند قيام الثورة الجزائرية.

لقد كان الحس العربي لدى النخبة الجزائرية أسبق من الأحداث التي ساعدت على بروز فكرة القومية العربية كاتجاه سياسي منفصل عن مفهوم الإسلام، وكما سبقت الإشارة فإن هذا الحس برز منذ سنة ١٩١١م في قصائد الشاعر عمر بن قدور، ففي إحدى قصائده نراه يذكر الشعب الجزائري بأرومته العربية وبأجداده على سبيل التفاخر والتباهي والموعظة قائلاً:

وأذكر سعادة من تعاظم سعيهم *** فغدا لمضجعه السماء يليقُ

أعني بني العرب الكرام ومن غدوا *** ولهم على كل الأنام حقوق

(جريدة المشير، ٠٦/٠٨/ ١٩١١)

وكذلك كان مفدي زكريا أكثر النخبويين الجزائريين وعياً بالعروبة ومفهوم الإسلام، فقد كان يراهما فكرتان متلازمتان لحضارة تحمل خلاص الكيان الجزائري من الأخطار المحدقة به ومما يُبيت له الاستعمار من مكائد التجنيس والإدماج والتنصير، فها هو يستصرخ الشرق والعروبة في كل أقطارها وعلى مدى حدودها، مستنهضاً الهمم مؤكداً انتساب الجزائر إلى الشرق دون الغرب وإلى العروبة والإسلام من دون الانتماء إلى الغرب وفرنسا:

نهوضاً بني الشرق الكرام ورحمه *** لذلـــــة أوطان تدق كأوتادِ

نهوضاً بنا نحو الحيـــــاة ونظرة *** إلى أمة أمست ضحية أحقادِ

فهل نحن إلا أمـــة عربيـــــــــة *** شقيقة أرواح قسيمـة أكبادِ

على أن مفهوم الارتباط بالعروبة كقوة معنوية لدعم الكفاح الجزائري والتآصر هذه الأقطار مع القضية الجزائرية يتضح بصورة أجلى وأكثر تحديداً في شعر مفدي زكريا خلال مرحلة الخمسينيات ، ولاسيما بعد اندلاع الثورة الجزائرية، وتَنادي الأقطار العربية إلى مناصرة هذه الثورة ودعمها اعتباراً للوشائج القومية.

إن «الإحساس بالعروبة والشعور بالانتماء إلى الأمة العربية لم يكن إحدى السمات البارزة في كتابات وقصائد النخبة المعروفين فحسب؛ وإنما حتى لدى المقلين أيضًا، وهمُ الذين كانوا يحملون نفس الأفكار وينتابهم ما ينتاب كل جزائري من الجزع والخوف أن يفلح الاستعمار في الحيلولة بين الجزائريين وماضيهم وأمشاجهم العربية، كمحمود بن دويدة وبولبينة محمد وأحمد الغوالمي الميلي»(ركيبي، ١٩٨٢، ص.ص٥٥- ٦١) -راجع أيضاً-

(ركيبي، ١٩٨٣)، هذا الأخير الذي وجَّه نداءً سنة ١٩٤٩م إلى طلبة إحدى المدارس بالإقبال على العلم باعتباره أحد وجوه العروبة ومطلباً من مطالبها الخالدة، وقد أراد أن يتقمَّص شخصية الطالب المباهي بانتساب الجزائر إلى العروبة.

جزائـر من أمـــة عـــــــــربية *** يحيـــط بها لطف من الله دائمُ
كتمت هواها في الفـؤاد كأنني *** جحـــــــــود بنعماها كنـود وآثمُ
حديثك برء للعروبـــة مرهم *** إذا أعوزت هذا الطبيب المراهمُ
(جريدة الأسبوع، أوت ١٩٤٩)

و«هم إذ يرسمون هذا الاتجاه لا يعنون بالشرق مصطلحه الجغرافي أو السياسي، وإنما كانوا يقصدون الشرق في مفهومه العربي أو القومي، وذلك في مقابل اتجاه آخر حاول الاستعمار أن يعزى به طبقة من شباب الجزائر المثقفين... وهو الاتجاه الغربي» (**Archives Nationales Tunisiens, Série M.N, C15, Dossier3, N.P78, D'ex. 1915**) حتى يؤمن بالغرب في حضارته وماديته، ويعمل للغرب في يومه وغده، ومن ثم كان هذا الاتجاه يرمي إلى فصل الجزائر عن كيان الأمة العربية، وقد تصدى له أكثر من شاعر وأديب جزائري يحذرون الشباب أن يقع في الأحبولة، أو يغترَّ بما في أسلوب هذا الاتجاه من بريق وخداع.

٢. صراع الهوية العربية لدى النخبة الجزائرية

في الحقيقة فإن الحديث عن خصوصية العلاقة بين الجزائر والمشرق العربي يُحيلنا بالضرورة إلى الحديث عن الدور الذي قامت به النخبة الجزائرية مغاربيًا وعربياً من منطلق وزنها الإقليمي والاستراتيجي، قد تصعب الكتابة حين نريد قراءة الخطاب القومي الوحدوي لدى الجزائريين خلال هذه المدة ، وقد تتعقد أكثر حين نستهدف استجلاء الوحدة العربية ضمن بنياته كخطاب، لكن الثابت أنه على الرغم من حداثته وغموض مضمونه وعدم دقته، فإن الجزائري يحمل عناصر اعتبرت مع التواتر مكونات ثابتة ومنها:

- أن الوحدة لدى الجزائريين ممكنة لأن ماضي المنطقة وتاريخها المشترك وأيضًا لغتها ودينها ومعتقداتها تتضمن من القوة ما يجعل منطق الوحدة هو الغالب على منطق الانفصال.
- أن الوحدة عند الجزائريين كانت ضرورة لأن في المنطقة من الموارد والثروات ما يجعلها تتصدر مكانة خاصة ضمن التوازنات الدولية، حيث تقف في أكثر من مناسبة عند اقتناعهم بصلاحية هذا المدخل للتوحيد وإنجاز مشروع الوحدة العربية .
- إن الوحدة لدى الجزائريين كانت حتمية، لأنها من صلب الوعي القومي ومكوّناته ، ولأنها أيضًا هم مشترك لدى مختلف النخب التي تصدرت الواجهة السياسية والفكرية.

فالقومية والوطنية من أهم العواطف الاجتماعية وأسمى المشاعر الإنسانية التي تربط أبناء الأمة أو الوطن بعضهم ببعض وتدفعهم للعمل من أجل التضحية في سبيلها والوطنية هي: « ذلك الشعور الباطني بالارتباط بالوطن والاعتزاز به فهي عاطفة حب أو تعلق الإنسان بوطنه، وهي غريزة طبيعية تدفع الإنسان إلى حب الأرض التي يعيش فيها والتعصب لها والذود عنها والتضحية في سبيلها».(الغويل، ١٩٩٠، ص.ص ٤٥ – ٤٦)، أما القومية فهي: «رابطة اجتماعية طبيعية بها ينتسب الفرد لأمة معينة ، وهذا الانتساب لا يتحقق فعلا إلا بإحساس الفرد بالانتماء للأمة والولاء لها»(أبو طالب، ١٩٦٦، ص.ص٢٢-٢٣)، فالوطنية والقومية من أهم النزعات الاجتماعية التي تربط الفرد البشري بالجماعات ، وتجعله يحبها ويفتخر بها ويعمل من أجلها ويضحي في سبيلها، وبما أن حب الوطن يتضمن بطبيعته حب المواطنين الذين ينتمون إلى ذلك الوطن، فكذلك حب الأمة يتضمن كما الوطن حبًا للأرض التي تعيش عليها تلك الأمة، لهذا السبب يتقارب مفهوم الوطنية من مفهوم القومية تقاربًا كبيرًا.

وبما أن للأمة عدة أشكال حسب تقسيم الحصري... (الحصري، ١٩٨٥، ص.ص٠٩ – ١٠)، فيبدو أن الأمة الجزائرية كانت تنتمي إلى الشكل الذي تكون فيه الأمة محرومة من دولة خاصة بها ، وتكون تابعة لدولة أجنبية عنها، وفي هذه الحالة تفرض الدولة الحاكمة على جميع أفراد الأمم الخاضعة لها "وطنية عامة واسعة النطاق" أي الوطنية الفرنسية، وتطلب منهم أن يرتبطوا بها وبسائر الأمم الخاضعة لها برباط هذه الوطنية وأن يخدموها بدافع هذه الوطنية، أما القومية فتعارض ذلك وتولد في نفوس الأفراد نزوعًا إلى الاستقلال عن الدولة المذكورة وتجعلهم يصْبُون إلى الانفصال عن الأمة الحاكمة ويسعون وراء تكوين دولة خاصة بهم فيحدث من جرّاء ذلك نزاع وخصام بين الوطنية التي تفرضها الدولة الحاكمة وبين القومية التي يشعر بها أفراد الأمة المحكومة، وهناك «من لا يرى فرقًا بين الوطنية والقومية حيث ذهبوا إلى اعتبار الوطنية شكلاً من أشكال القومية ومن هؤلاء "روبرت ماكفير وشارلز بيج" (Robert Mc Fair et Charles Page) فالقومية عندهما قد تقوم في أحد أشكالها على فكرة الارتباط بأرض الآباء والأجداد»(الغويل، ١٩٩٠، ص ٥٠).

وإجمالاً فالوطنية عند النخب الجزائرية: «لا تتعارض مع القومية، بل هي في الحقيقة قوة دافعة لها فمن فكرة الوطنية تقدم العقل الجزائري لفكرة القومية، بل لقد أصبحت القومية هي الأساس لتحديد مفهوم الوطن، وعليه فإن الجزائر خلال تلك الفترة كانت جماعة يمكن اعتبارها ثابتة التكوّن تاريخيًا على أساس أرض مشتركة وحياة اقتصادية مشتركة»(فيكس، ب. ت، ص ٤٠).

لقد كان الشيخ عبد الحميد ابن باديس زعيم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يُؤمن أن المغرب العربي هو وحدة قائمة بذاتها وأنها جزء من الأمة العربية ويجب أن تنظم إلى الجناح الأيسر من العروبة بعد استقلالها لتكوين الوحدة العربية فهو يقول في إحدى خطبه :«...أنا أحب أن يكون الحديث عن عموم المغرب العربي لأنني أؤمن بأن هذا الشمال لا ينهض إلا بتضامنه مع بعضه بعضًا.. وما هذه كلّها إلا وطن واحد ذو لغة وعقيدة وآداب وأخلاق وتاريخ ومصلحة مشتركة ثم هو الوطن العربي الإسلامي».(خيرية، ١٩٨٢، ص١٦٠).

وما يجب أن نلاحظه هنا هو كيف يميل الجزائري ولنقل الشيخ ابن باديس على سبيل المثال في هذه العبارة إلى الإعلان عن الانتماء العربي للبلاد وللشعب في الوقت نفسه الذي يعمل فيه على تعزيز الشعور الوطني الجزائري، وكيف تختار الوطنية الجزائرية أن تكون عربية من دون أن تفقد نفسها (قطريتها)، لا شك أن الخطاب القومي التقليدي لن يستسيغ هذه المعادلة لأنها تقوم على حدين متنافرين (قطري/قومي)، لا يُمَكن الواحد منهما إلا أن يلغي الأخرى، لكنها في حالة جزائر مطلع القرن العشرين معادلة توافقية ومردّ ذلك إلى ظروف التطور التأريخي والسياسي الحديث.

فالانتماء القومي في الجزائر لا يلغي الرابطة الوطنية القطرية بل يُعززها عكس نظرة المشارقة لهذه الجدلية، ذلك أن السبب يرجع إلى جذور تكوّن فكرة القومية العربية في كل منهما، ففيما «تأسست فكرة القومية في بلاد الشام مثلاً على رفض الدولة القطرية المستحدثة في مجال طبيعي تاريخي واقتصادي واحد كان يطمح أهله إلى إنشاء دولة "عربية واحدة" قامت فكرة الوطنية في الجزائر أو في المغرب العربي عمومًا على المطالبة باسترجاع سيادة الدولة الوطنية القائمة ضمن حدودها السابقة على الحدود التي فرضها الاستعمار الفرنسي»(بلقزيز، ١٩٩٢، ص ٥٥).

غير أن النظرة التاريخية الإسلامية في ضبط محتوى القومية على التحليل الاجتماعي قد تغلّبت لدى النخبة الجزائرية، وليس ذلك من باب الصدفة، فلقد وردت الجنسية العربية على أرض المغرب الكبير في جحافل الفاتحين من دعاة الإسلام، ولقد توطّدت اللغة العربية في هذه الديار وغلبت اللغات الأهلية لأنها لغة القرآن الكريم، ولما تكوّنت الحركة الوطنية الجزائرية في مطلع القرن العشرين ، فإنما كانت تتمسك بالقيم الدينية الإسلامية لا بمبادئ القومية العربية، وهي لم تتوضّح معالمها في ذلك العهد، فلقد «كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعمل بروح الإسلام على أيدي ابن باديس، وتنادي بالتعلّق بالدين وترى فيه حصنًا منيعًا ضد الاستعمار وردعًا حافظًا من حملات التبشير في بلاد القبائل وتؤكد المواثيق الوطنية للنجم وحزب الشعب على الطابع الإسلامي العربي للأمة الجزائرية»

(الفيلالي، يوليو ١٩٨٥، ع(٧٧)، ص ٩٣)، يقول عبد الحميد بن باديس الصنهاجي في الثلاثينيات من القرن الفارط: « إن الاتحاد الإسلامي والوحدة العربية بالمعنى الروحي والمعنى الأدبي والمعنى الأخوي هما موجودان، تزول الجبال ولا يزولان، بل هما في ازدياد دائم بقدر ما يشاهد الناس من عمل في الغرب ضد العروبة والإسلام»(الخرفي، ب.ت، ص١٢)، هذه الصرخة القومية تصَعدت في ذروة الكبد الاستعماري لعروبة الشمال الإفريقي وبطشه بالإسلام في الثلاثينيات، يوم تصوّر المستعمر أن البربرية يمكن أن تكون حربة في ظهر الإسلام والعروبة، وأن الصليبية يمكن أن تكون البديل في ظل سطوة عسكرية، فجاء التحدي باسم (العروبة والإسلام) شعارًا لجمعية العلماء المسلمين.

وتلتقي نخبة الجزائر والحركة الوطنية السياسية الجزائرية بالنسبة لهذه القضية التأريخية والمواجهة المشهودة على فكرة واحدة ومنطلقات متحدة، بدون سابق تنسيق أو تخطيط، إنما هي الرسالة الجامعة والعدوّ المشترك. يقول الشيخ الإبراهيمي: «عروبة الشمال الإفريقي بجميع أجزائه طبيعية، كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء والينابيع التي انفجرت منها الأخلاق والخصائص والنواحي التي جاءت منها العادات والتقاليد، وهي أثبت أساسًا وأقدم عهدًا.. من إنجليزية الانجليز، وألمانية الألمان »(الخرفي، ب.ت، ص ١٣)، فهذا الفتى الزواوي باعزيز بن عمر[٢٧] يقول وهو من بلاد القبائل: « وإننا نشعر من قبل ومن بعد بدم العروبة يجري في عروقنا وهو صاف لم يمازجه كدر وإن اختلف المظهر، ونسمع صوتها الحنين يرنّ في آذاننا فنفتح له الطريق إلى قلوبنا وأعماقنا.. فالعروبة حيّة فينا ونحن أحياء فيها، مادامت السماوات والأرض».(الخرفي، ب.ت، ص ١٢)

يقول فرحات بن الدراجي أبو حامد[٢٨]: «... إن ما بيننا وما بين البلاد الشرقية من وشائج الصلة، ومتانة الرابطة لما لا تقوى على فصمه أو توهينه صروف الزمان ولا طوارق الحدثان، فالإسلام يجمع بيننا في العقيدة ومظاهرها، والعربية توحّد بيننا في اللغة وآثارها

---

(٢٧) باعزيز (بن عمر) (١٩٠٦-١٩٧٧)م: من مواليد ١٠ فيفري ١٩٠٦م بقرية آيت حماد –أزفون- تعلم على يد والده الشيخ عمر، انظم إلى الجامع الأخضر بقسنطينة سنة ١٩٢٥م التحق بالزيتونة. وعقب عودته إلى الجزائر، انظم إلى مدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة. نشر العديد من المقالات في صحف الجمعية، أشرف على مدرسة الإقبال التابعة لجمعية العلماء، وبعد الاستقلال انظم إلى المصالح التربوية، فشارك في التأليف المدرسي وتوجيه وتكوين المعلمين. توفي في ١٩٧٧/٠٥/٠٦م

(٢٨) بن الدراجي فرحات أبو حامد (١٩٠٦ – ١٩٥١)م: ولد بليشانة (منطقة الزاب الكبرى) من أسرة ثرية، وفي خريف ١٩٢٤م انتقل إلى جامع الزيتونة لينال فيها شهادة التطويع سنة ١٩٣١م وبعد عودته إلى الجزائر التحق بمدينة سيق ليخلف مكان الشيخ التبسي..وأُنتخب كنائب للكاتب العام لجمعية العلماء سنة ١٩٣٧م، شغل مُحررًا لجريدة البصائر الثانية ابتداءً من منتصف عام ١٩٤٧م. ومن آثاره: "شرح مفتاح الأصول للشريف التلمساني"، " تهذيب المدوّنة".- للاطلاع راجع: - بن ذياب أحمد، (أكتوبر/ نوفمبر ١٩٧٦م)، "فرحات بن الدراجي الأديب العالم"، الثقافة، ع(٣٥)، الجزائر.

والعقيدة واللغة هما أبرز مظاهر الأمم وأمتن الروابط بين الشعوب...» (مجلة البصائر ١، ع (٨٩)، ١٩٣٧/١٢/٠٣، ص ٠١).

وغني عن البيان ما أفرزَه هذا الواقع التراكمي والتنازعي من خلفيات لحركة التاريخ ومن أبعاد على مسيرة الوجود والحياة التي طمست بعض معالم الذات المغاربية وفصَلت ظروف وأحداث معينة بعضها عن بعض وجعلت معرفتها صعبة وسطحية(الكثيري، ١٩٨٦، ص.ص ٢١ – ٢٢) فواقع اللغة والعرق والحضارة يبرز ميزات خاصة واختيارات أساسية للحكم لم تخلُ من تأثير واضح وصدى عميق على المنطقة ككل يراجع: (الجابري، ١٩٨٧، ص.ص ١٩ – ٢٠).

الاستنتاجات:

لقد حاولت في هذه الدراسة دون أن أدّعي بأنها قامت بالتأسيس لنظرة جديدة تجاه جملة من المفاهيم والقضايا، أن أُحضِّر لجملة من المعطيات حول موضوع استهلكتُ جوانبه العامة بحثًا، وأيضًا قمتُ بمجهود تركيب هذه المعطيات عسى أن أقف عند بعض التساؤلات التي قد تبدو مركزية وسهلة أحيانًا أخرى، وهي في كلتا الحالتين عناصر للتفكير ليس إلا، وفي ختام هذه الدراسة نستطيع أن نستنتج ما يأتي:

١. أن المجالات العامة التي كانت انعكاساً بارزاً لنشاط النخبة الجزائرية ودورها في صناعة الفكر القومي الجزائري في ثلاثة أمور: إيقاظ وبعث الوعي الوطني بين الجزائريين، وربط الجزائر ثقافياً وحضارياً بثقافة وحضارة اللغة العربية والقرآن الكريم، والمحافظة على الشخصية الجزائرية.
٢. لقد عملت هذه النخبة على إحياء الشخصية الوطنية والمحافظة عليها، وهي بذلك أدت إلى ذوبان الاتجاهات الاندماجية و المفرنسة في بوتقتها وبالتالي أفشلت السياسة الفرنسية في الجزائر.
٣. كان الشرق كما جسَده المثقف الجزائري في أذهان مواطنيه مهد الحضارة وحرم العروبة ومهبط الوحي ومن ثمة فهو حلم الخلاص، وطريق الوحدة الشاملة.
٤. أن الوعي القومي الجزائري بضرورة المساهمة والتضامن نشأ عن خلفية ثقافية مضمرة في الشخصية الجزائرية، وبما أنها ثقافية فهي بالتالي لا تدفع به بالضرورة إلى أن يكون وعيًا سياسيًا والذي هو في الأخير وعي بقضية الوحدة والتوحد السياسي.
٥. أن الوعي القومي في الجزائر نشأ من دون صدام مع الوعي الوطني، وهذا خلافًا للوعي القومي الذي تأسّس– في المشرق – ضد الوعي الوطني (القطري)، هذا الذي ننظر إليه دومًا بصفته النقيض الموضوعي لذاك –إن هذا التعايش– بين الوعي القومي وبين الوعي الوطني في الجزائر يضفي سمات خاصة على قومية الجزائريين.

لقد حاولنا بمناسبة الحديث عن هذه النخبة المثقفة استحضار البعض من الأسباب الظاهرة والخفية لتبلور هذه الأنتلجنسيا، وكذا محاولة الخروج بجملة النتائج والتأثيرات التي انعكست بها على الوسط الجزائري، وإن نحن لم نصل إلى استيفاء جميع المعلومات عن هذا الموضوع فلعله من الممكن أن يكون عملنا المتواضع منيرًا سبيل من سيأتي بعدنا لمعالجته بشكل أعمق.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

الوثائق الأرشيفية:

1. **Archives Nationales Tunisiens**, Série M.N, C15, Dossier3, N.P78, D'ex. 1915 «listes des étudiants Zitouniens sympathisant de la turque à surveiller par les contrôleurs civiles pendant les vacances d'été».
2. **Istitut Supérieur d'Histoire du Mouvement National**, A.N.O.M, Bob A464R, C2224(1), doc n°(223- 224)

مذكرة من إدارة الأمن العمومي بتونس بتاريخ: ١٩٢٣/٠٨/٢٧م.

3. **Institute Supérieur d'Histoire du Mouvement National, A.N.O.M, Bob A464R, C2224(1), doc n°213**

مذكرة من إدارة الأمن العمومي بتونس بتاريخ ١٩٢٣/٠٩/٠١م.

الصحف المصدرية:

جريدة الأسبوع، تونس، العدد (أوت ١٩٤٩م).

جريدة المشير، تونس، العدد (٠٦/٠٨/ ١٩١١م).

مجلة البصائر، العدد (٨٩)، (١٩٣٧/١٢/٠٣).

مجلة البصائرا، العدد (١٧١)، (١٩٣٩/٠٦/٢٢)

جريدة البرق، العدد ٠٢، (١٩٢٧/٠٤/١١).

جريدة النجاح، عدد ٢٢٨٩، (جوان ١٩٣٩)

الكتب :

- باللغة العربية:

١. الإبراهيمي، محمد البشير (١٩٧١م) عيون البصائر، ج(١). الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
٢. ابن الأحمر، (٢٠٠١)، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح.هاني سلامة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية
٣. الأزهر، علال (١٩٨٨م) المسألة القومية والنزعة الأمازيغية وبناء المغرب العربي، دار الخطابي للطباعة والنشر.
٤. ألفرد، بل (١٩٨٧م) الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، تر، عبد الرحمان البدوى، بيروت، دار الغرب الإسلامي
٥. الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري، (١٩٦٤)، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ط٢، ج٢، بيروت، دار اليقظة العربية.
٦. بحري، يونس (ب.ت) دماء في المغرب العربي، دار النشر للجامعيين.

٧. برهان، غليون (١٩٩٤م) مجتمع النخبة، ط(٢). دار البراق.
٨. بلاسي، نبيل أحمد (١٩٩٠م) الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٩. بلقاسم، محمد (١٩٩٣–١٩٩٤) الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي، [رسالة ماجستير غير منشورة]. جامعة الجزائر.
١٠. بلقزيز، عبد الإله وآخرون (١٩٩٢م) الحركة الوطنية المغربية والمسألة القومية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
١١. بوصفصاف (عبد الكريم)، (١٩٨١م)، ج.ع.م.ج ودروها في الحركة الوطنية، الجزائر: دار البعث.
١٢. بوعزيز .يحي، (١٩٧٨م)، ثورة ١٨٧١م ودور عائلتي المقراني والحداد، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
١٣. بوعزيز يحي، (١٩٨٠م)، ثورات في القرنين (١٩–٢٠)م، الجزائر، دار البعث.
١٤. تركي، رابح (١٩٨١م) التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط(٢) . الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
١٥. الجابري، محمد عابد (١٩٨٧م) فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من أجل الاستقلال، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
١٦. الجابري محمد الصالح، (١٩٨٣م)، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، تونس، الدار العربية للكتاب.
١٧. جغلول عبد القادر، (١٩٨٤م)، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، تر: سليم قسطون، بيروت، دار الحداثة.
١٨. جلال، يحي (١٩٨١م) المغرب العربي(العصور الحديثة)،ج (٣). مصر، دار النهضة العربية.
١٩. الجندي أنور، (١٩٦٥م)، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة، الدار القومية.
٢٠. الحصري، أبو خلدون ساطع (١٩٨٥م) آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، ط(٢)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
٢١. الخرفي، صالح (١٩٧٧م) الجزائر والأصالة الثورية، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
٢٢. الخرفي، صالح (ب.ت) في رحاب المغرب العربي، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
٢٣. الخطيب أحمد، (١٩٨٥م)، ج.ع.م.ج وأثرها الإصلاحي في الجزائر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب..
٢٤. خيرية، عبد الصاحب وادي (١٩٨٢م) الفكر القومي العربي في المغرب العربي، دار الرشيد للنشر.
٢٥. دبوز، محمد علي(١٩٧١م) نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج(٢). المطبعة العربية.
٢٦. دوغان (أحمد)، (١٩٨٩م)، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، الجزائر، الموئسسة الوطنية للكتاب.
٢٧. ركيبي، عبد الله (١٩٨٣م) قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
٢٨. ركيبي، عبد الله (١٩٨٢م) الأوراس في الشعر العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
٢٩. ركيبي عبد الله (١٩٨٣م)، تطور النثر الجزائري الحديث (١٨٣٠– ١٩٧٤)م، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

٣٠.الزاهري محمد الهادي، (١٩٢٦م)، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج١، تونس، المطبعة التونسية.
٣١.الزبير، سيف الله (١٩٨٢م) تاريخ الصحافة في الجزائر، ج(٤). الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
٣٢.سعد الله، أبو القاسم (١٩٩٢م) الحركة الوطنية الجزائرية، ط(٤).ج(٢). بيروت، دار الغرب الإسلامي.
٣٣.سعد الله، أبو القاسم (١٩٨٥) تاريخ الجزائر الثقافي، ج(١)، ج(٥)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
٣٤.سعد الله، أبو القاسم (١٩٧٠م) دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط(٢). دار الآداب.
٣٥.سعدي، عثمان، (١٩٨٢م) عروبة الجزائر عبر التاريخ، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
٣٦.بن سمينة (محمد)، (١٩٨٩م)، محمد العيد آل الخليفة، الجزائر ، الموئسسة الوطنية للكتاب.
٣٧.الشوابكة، أحمد فهد بركات (١٩٨٤م) حركة الجامعة الإسلامية، مكتبة المنار.
٣٨.شوقي أبو خليل، (١٩٩١م)، الإسلام وحركات التحرير العربية، دمشق، دار الفكر.
٣٩.أبو طالب، صوفي (١٩٦٦م) دروس في المجتمع العربي، مصر، دار النهضة العربية.
٤٠.عباس، فرحات (٢٠٠٥م) ليل الاستعمار (حرب الجزائر وثورتها)، الجزائر، منشورات أناب.
٤١.عباس محمد الصغير، (٢٠٠٦) عباس فرحات من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة.
٤٢.بن عتيق، محمد الصالح، (١٩٩٠م)، أحداث ومواقف في مجال الدعوة الإصلاحية والحركة الوطنية بالجزائر، الجزائر: مطبعة دحلب.
٤٣.العسلي بسام، (١٩٨٤م)، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، ط٢، بيروت، دار النفائس.
٤٤.العقاد، صلاح (١٩٦٤م) الجزائر المعاصرة، دمشق، مطبعة الرسالة.
٤٥.بن العقون، عبد الرحمان، (١٩٨٤م) الكفاح القومي والسياسي، ج(١). الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.
٤٦.بن قفصية عمر، (١٩٧٢م)، أضواء على الصحافة التونسية، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر.
٤٧.عمارة، محمد (١٩٦٨م) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، دار الكتاب العربي.
٤٨.عمارة، محمد (١٩٧٩م) مسلمون ثوار، المؤسسة العربية للدراسات.
٤٩.عمارة، محمد (١٩٨٩م) الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل، دار قتيبة.
٥٠.عميراوي، أحميدة (١٩٨٧م) دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (١٨٢٧– ١٩٤٠)، الجزائر، دار البعث.
٥١.الغويل، سليمان (١٩٩٠م) الدولة القومية، ط(٤). ليبيا، منشورات جامعة قار يونس.
٥٢.غليسبي، جوان (١٩٦١م)، الجزائر الثائرة، مصر، دار الطليعة.
٥٣.الفاسي، علال (١٩٧١م) المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، المطبعة الفنية الحديثة.
٥٤.فيكس، ليون (ب. ت) الجزائر حتف الاستعمار، مصر، مكتبة المعارف.
٥٥.قداش محفوظ، (١٩٨٥م)، الأمير خالد (وثائق)، الجزائر، ديون المطبوعات الجامعية.
٥٦.قنانش، محمد (١٩٨٢م) الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
٥٧.قنانش محمد، قداش محفوظ، (١٩٨٤م)، نجم الشمال الإفريقي(١٩٢٦– ١٩٣٧)م، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،

٥٨.بن قينة .عمر،(١٩٩٣م) صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث، الجزائر، ديون المطبوعات الجامعية.
٥٩.الكثيرى، مصطفى (١٩٨٦م) الخصوصية التاريخية والحضارية لبلدان المغرب العربي، شركة الشرق الأوسط.
٦٠.مالك، بن نبي (١٩٦٩م) مذكرات شاهد القرن، ج(١)، بيروت، دار الفكر.
٦١.المحافظة، علي (١٩٨٣م) الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، مصر، الأهلية للنشر والتوزيع.
٦٢.المدني أحمد توفيق، (١٩٧٦م)، حياة كفاح (مذكرات)، ج١، ج٢، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
٦٣.مركز دراسات الوحدة العربية (١٩٨٧م) وحدة المغرب العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
٦٤.مركز دراسات الوحدة العربية (١٩٨١م) القومية العربية والإسلام، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
٦٥.مناصرية، يوسف (١٩٨٨م) الحزب الحر الدستوري، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
٦٦.منير، شفيق (١٩٧٩م) في الوحدة والتجزئة، بيروت، دار الطليعة.
٦٧.ناصر، محمد (١٩٧٨م) المقالة الصحفية، مجلد(٢). الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
٦٨.نويهض عادل، (١٩٨٣م)، معجم أعلام الجزائر، بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية.
٦٩.هلال عمار، (١٩٩٥م)، العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية، الجزائر، ديون المطبوعات الجامعية..
٧٠.هنري كلود، وأندرى برينان، وايف لاكوست (ب.ت) الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي، .مصر، منشورات المعارف.
٧١.ولد خليفة، محمد العربي (١٩٩١م) الثورة الجزائرية (معطيات وتحديات)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

- **French language**

1. Ageron,Ch.r (1977) Histoire de l'Algérie contemporaine (que-sais-je), P.U.F
2. Collot,c, et Henrym, J.R (1978) Le mouvement national algérien, Ed. Le Harmattan
3. Gramsci, Antonio (1977) La Formation des Intellectuels, l'Organisation de la culture, éd. Sociales.
4. Kaddache,M (1980) Histoire du nationalisme Algérien question nationale et politique Algérienne. S.N.E.D.
5. Kaddache (M) et Genaneche (M), (1984). L'étoile nord-africaine, Alger. O.P.U.
6. Mahsas (A), (1979). le mouvement révolutionnaire en Algérie, Paris: Ed., le Harmattan.

۞ المقالات:

- باللغة العربية:

١. بن أبي شنب، سعد الدين (١٩٩٦) النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، ع(١)، بحث منشور، مجلة كلية الآداب، جامعة الجزائر.
٢. بوكوشة حمزة، (١٩٧٤م)، الشيخ الهادي السنوسي الزاهري، مجلة الثقافة، ع(٢٤). الجزائر، وزارة الثقافة.
٣. تركي، رابح (١٩٧٥م) ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية، ع(٢٤)، بحث منشور، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية.
٤. ديبارمي، ب (جويلية ١٩٣٣م) ميلاد تاريخ وطني جزائري، ع(١١٢٤)، بحث منشور، المجلة الأفريقية.
٥. بن ذياب أحمد، (١٩٧٦م)، الإبراهيمي ونضال الكلمة، مجلة الثقافة، ع(٣٣). بحث منشور، الجزائر، وزارة الثقافة.
٦. بن ذياب أحمد، (أكتوبر/ نوفمبر ١٩٧٦م)، "فرحات بن الدراجي الأديب العالم"، الثقافة، ع(٣٥)، الجزائر.
٧. زنيير، محمد (سبتمبر ١٩٨٥م) دور الثقافة في بناء المغرب الكبير، ع(٧٩)، بحث منشور، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية.
٨. سعد الله، أبو القاسم (جانفي/فيفري ١٩٨٤م) مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي، ع(٧٩)، بحث منشور، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة.
٩. سعد الله، أبو القاسم (فيفري / مارس١٩٧٦م) ابن باديس والقومية العربية، ع(٣١)، بحث منشور، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة.
١٠. سعد الله أبو القاسم، (جوان ١٩٧٣م)، حركة الأمير خالد، مجلة الجيش، ع٠٣، بحث منشور، الجزائر.
١١. سليمان، إسماعيل (جويلية ٢٠٠٠م) صفحة من نضال التيار الإصلاحي في الشمال الإفريقي، ع(٢٨٤)، بحث منشور، مجلة الفيصل.
١٢. طعبة حورية، (٢٠٢١م)، سياسة المارشال بيجو في مستعمرة الجزائر (١٨٣٦-١٨٤٨م)، مج(٦)، ع (١)، بحث منشور، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، الجزائر.
١٣. عبد العاطي، محمد أحمد (جويلية ١٩٧٩م) الإسلام والعروبة في المغرب العربي، ع(٢)، بحث منشور، مجلة قضايا عربية.
١٤. عمر، بن قدور (١٩٠٦/٠٢/٠٧م) الشعور الإسلامي في الجزائر، ع(١٩٤٥)، بحث منشور، مجلة اللواء القاهرية.
١٥. الفيلالي، مصطفى (جويلية ١٩٨٥م) مفهوم المغرب العربي تطورًا وتصورًا وممارسة، ع(٧٧)، بحث منشور، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية.
١٦. قداش محفوظ، (جانفي ١٩٨٦م)، الأمير خالد ونشاطه السياسي"، ع(٤)، بحث منشور، مجلة تاريخ وحضارة المغرب.

١٧.مالكي، أمحمد (جوان ١٩٨٦م) إشكالية وحدة المغرب العربي، ع(٤٥-٤٦)، بحث منشور، المجلة التاريخية المغاربية.

١٨.مرسى، مصطفى (جوان ١٩٨٩م) اتحاد المغرب العربي، بحث منشور، ع(١٤)، مجلة التعاون.

١٩.مركز دراسات الوحدة العربية (جوان ١٩٨٥م) ندوة المستقبل العربي حول الوعي القومي في المغرب العربي، ع(٧٦)، بحث منشور، مجلة المستقبل العربي.

٢٠.نور الدين بن قويدر، (جانفي ٢٠٢١)، البعد الوطني لثورة الأوراس ١٩١٦ ومشروع الجمهورية الجزائرية.، بحث منشور، مجلة الإحياء، مج (٢١)، ع(٢٨)، الجزائر.

- **French language**

1. Merad, A (1964) Conformation de Presse Islamique en Algérie, 127(02), Published search, IBLA Magazine, Institute of Fine Arabic Littérature.
2. Merad, A (1964), La Formation de La Presse Musulmane en Algérie (1919-139), 128(01). Published search, IBLA Magazine, Institute of Fine Arabic Littérature.